عقيدة جديدة !

أخي

... ايها العربي !

ماذا ترى عيناك ، في هذه الآفاق المدلهمة ، آفاق العالم العربي ؟

حيرة ممزقة ، وذهول بليد ، هما التراث البشع لاجيال من الحلكة ، والجحود ، والاستكانة ، وهما بعد ذاك الواقع الكريه واقعنا ، الواقع الذي ليس فيه الا ما يلهب ، الحزن الذي يفتت ، والالم الذي يذيب !

امام هذا الواقع ، هذه المأساة المزمنة ، تقف السلبية والايجابية ، تلك تسلمك الى القنوط ، والاستسلام ، والاسترخاء ، وهذه تدفعك الى الحركة ، والتمرد ، والكفاح !

وعلى هذا المفترق ، هذه الزاوية الرهيبة الدقيقة كحد الموسى ، يحار الشباب العربي ، الشباب الذي نكب في انسانيته في قدسيته في جوهره ، ثم نكب في تراثه ، في ارضه في وطنه !

وتسألني عن الشموع الباهتة او البناء المتداعي .. تلك الشموع التي اضلتنا الطريق وقادتنا الى مهاوي الذل ، والخيبة ، والتفكك !

أتخشى ان تنطفىء هذه الشموع الباهتة التي تطل في كآبة ذليلة على اطلال ذلك البناء المتداعي ؟. أية شموع ، واي بناء ؟ .. اتخشى ان يلتهم الظلام عناصر الموت والجمود ؟.. وبعد كل ليل فجر ، وبعد كل عسر يسر ؟..

نحن يا اخي نحتاج الى شموع جديدة ، وبناء جديد ، فلن نستضيء على الاوهام ، ولن نبني على الرمال. حرر نفسك وفكرك وقلبك من كل الوان العبوديات من كل ما يعيق تقدمك وانطلاقك ، ثم احمل معولك يا اخي ، واخمد ذبالات الشموع الباهتة ، وامح بقايا البناء المتداعي فالهدم دائماً يسبق البناء.

هذا هو الهدم .. فاين البناء ، طريق الخلاص ؟.. خلاص العرب افراداً وجماعات من سلاسل الرق وحلكة الجهل ووهدة الفقر ومباءة المرض ؟

لن يتحرر العرب الا اذا طهروا نفوسهم من كل الوان الجشع والتعصب والانانية ، وازاحوا من طريقهم كل اصنام القبلية والطائفية والاقطاعية .

ولن نتحرر الا بعقيدة تجمع الشمل الذي ينثر في طوايا الخواء ، وتوحد الجهد الذي يبعثر على حبال الريح .

نحتاج الى عقيدة واعية مدركة ، عقيدة قومية خيرة نيرة بناءة ، عقيدة قومية تنظم الكفاح العربي في وحدة متماسكة متناسقة ، فتحرر الفرد العربي من كل ضروب الجمود الفكري والروحي والنضالي ، وترسم للمستقبل ، لعالم الغد كيان الدولة ونظام المجتمع وسبيل الفرد !

هذه هي ارادة الشباب .. وهذه هي دعوته ! .

بغداد — سوسن عبدالله

* تعليق على كلمة الاديب محمد الجندي المنشورة في عدد ديسمبر الماضي من «الاديب»

حسناء مارينباد، قصة غرام جوته الاخير

بقلم ستيفان زفيج



في الخامس من سبتمبر سنة ١٨٢٣ راحت عربة شبيهة بعربات الملوك تخطر متأنية متمهلة على الطريق بين «كارلسباد وايجر»، وكانت انفاس ونفحات من الخريف، مع لسعة من البرد القارس، تشيع في ذلك الصباح. وهبت ريح شديدة على الحقول المحصودة حديثاً، ولكن سماء زرقاء صافية كانت تمتد رحيبة فوق تلك المناظر الطبيعية الرائعة. كان ثمة رجال يجلسون في العربة: المستشار السري «لجراندوق» ساكس ويمار: فون جوته او بتعبير اوضح «جوته» صاحب فرتر وفوست، ومعه اثنان من خدمه المخلصين «ستادلمان» العجوز و«جوهان» امين سره. وهو الذي نقل مسودات مؤلفات جوته جميعها منذ اواخر القرن الثامن عشر حتى ذلك العام.

كان الصمت سائداً في العربة. فمنذ ان ترك المسافرون «كارلسباد» حيث تقاطرت الفتيات والنساء الجميلات لتحية الشاعر العظيم او تقبيله عند الوداع، منذ تلك اللحظة لم ينبس جوته ببنت شفة. وها هو يجلس الآن يجلس ساكناً، تغيب نظراته في التأملات.

وما توقفت العربة للمرة الاولى حتى نزل منها الشاعر، واتخذ له مجلساً في نزل ريفي يكاد يكون خالياً، وراح يخط بسرعة بعض الكلمات على القرطاس.

وتوالى الامر بالشاعر على هذا الغرار طوال الطريق حتى «ويمار» فلقد وصل الى «زوتو» ثم الى قصر «هارتنبرج» ثم الى «بوسنيك» وفي كل هذه المراحل كان اهتمامه الاول يتركز في ان يخط على القرطاس ما جمعه في ذاكرته اثناء سفره.

اما في سجل يومياته فكان يشير الى «القصيدة» اشارة خفية: «٦ سبتمبر — عملت في القصيدة» «تابعت عملي في القصيدة ٧ سبتمبر» «١٢ سبتمبر — نقحت مرة اخرى قصيدتي».

وقد انهى قصيدته هذه في «ويمار»، وهي القصيدة المعروفة باسم «حسناء مارينباد» وهي اشد قصائد شيخوخته دلالة، واعمقها اسرارا وتغلغلا في خبايا نفسه الرحيبة، وكذلك فقد كانت احب قصائده الى قلبه، وصرخة الوداع الاخيرة، المضمخة بعطر المجد المنداة بفيض من التجدد والبعث.

ولقد سمى جوته هذه القصيدة، اثناء بعض احاديثه «يومياتي الخفية» والواقع ان سجل يومياته لا ينطوي على صفحة تتحدث عنه بصراحة مثل صراحة هذه القصيدة الخالدة التي تعد وثيقة تتمثل فيها احداث حياته الاخيرة، هذه الاحداث التي تشيع فيها نبرة خفية من التحبب والالم. ونحن لا نعرف في الحقيقة تدفقاً وجدانيا، انبثق عن سني شباب الشاعر يشبه تدفق هذه القصيدة في صراحته وحسه المباشر، وكذلك فلعل كتابات الشاعر جميعها تخلو من قطعة فنية يتاح لنا مراقبة تطورها واكتمالها بوضوح، سطراً فسطرا، ومقطعاً فمقطعاً، ساعة فساعة، كهذه القصيدة التي كتبها الشاعر في الرابعة والسبعين من العمر، فجاءت آية من آيات العمق والاكتمال. فهي ثمرة ناضجة ملونة بحمرة امسيات الخريف او قل انها، كما كتب جوته لصديقه «اكرمان» «نتاج حالة من اسمى حالات الوجدان والتأثر».



جوته في شبابه لليبس

والقصيدة تجمع الى العمق والاخلاص ارفع انواع الكمال الفني من حيث الشكل، واليوم بعد ان مرت عليها عشرات السنين لا نجد فيها شيئاً حائلا لونه، فكل ما فيها حي ينبض بالحياة، تخفق فوقه نجمة التجدد اللانهائية.

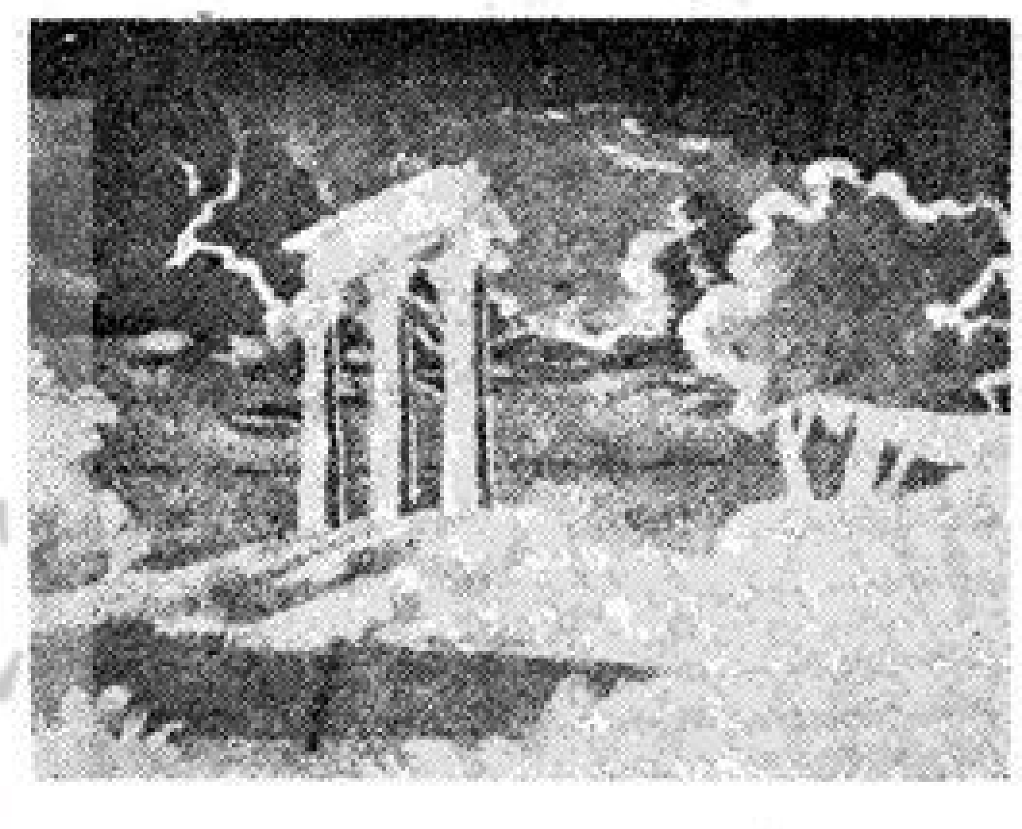
وقصيده «مارينباد» هذه تؤرخ الانقلاب في حياة شاعرها العظيم، ففي شباط ١٨٢٢ قدر على جوته ان يقاسي اهوال مرض عنيف خطر. فقد ألمت به نوبات من الحمى كادت ان تقضي عليه، وقد اغمي عليه خلالها وكاد اهله يعلنون موته اكثر من مرة. ولم يجد الاطباء في جسم الشاعر اعراضاً تدلهم على مرضه فاقتصروا على اعلان حالة الخطورة دون ان يشخصوا مرضه ثم نفضوا منه ايديهم بعد ان اصبح داؤه عياء.

ولكن حالة المرض ذهبت فجأة، ومن تلقاء ذاتها كما حلت. فسافر جوته في يونيو، الى مارينباد، وهو يحس بالتجدد يهب عليه من انفاس الربيع الحارة العطرة. وهكذا رأينا الرجل المتزن المحتفظ ببرودته وقسوته، والذي تحولت ملكاته الشعرية الى نوع من المعرفة العلمية الشاملة، هذا الرجل رأيناه

يحيا، منذ بعثه هذا الجديد، وسط آماله وعواطفه اللاهبة الساحرة.

« فالموسيقى تمزق احشاءه » كما يقول فهو لا يكاد يتمالك نفسه حين يصغي الى الحان البيانو السماوية الرائعة وخاصة حين تعزفها امرأة بارعة الجمال كالسيدة « سيما نوسكا » . فما ان تتدفق الامواج الرنانة العذبة حتى تنهمر دموعه كدموع الاطفال. وهو الى هذا وذاك، يميل الى الصبا والجمال.. وها هم صحبه يدهشون حين يرون هذا الرجل وهو في منتصف العقد الثامن من عمره، يحوم كالفراشات الفتية حول النساء ، من غروب الشمس حتى منتصف الليل. ثم تتزايد دهشتهم حين يرونه اثناء رقصه الطروب ، بعد ان انقطع مدة طويلة عن ارتياد حلقات الرقص وحفلاته الرائعة .

وكان جوته يقول :« وما ان تتغير وجوه الفرسان بوجوه اخرى .. ويتبادلون فيما بينهم النساء .. حتى تقع بين ذراعي اجمل النساء واحفلهن اجسادا بالشهوة والاغراء .» اذن فقد ذاب اثناء الصيف جسم الشيخ المتجمد ، بعد ان دبت فيه الحرارة والحياة .. فراح يتنشق عبير الجمال . وطفقت روحه التواقة الى مختلف صوره وانواعه، تحلق في جو من سحره وفتونه . فنقرا في يوميات تلك الايام الكثير عن احلامه الشهية ولياليه الوضيئة لقد ايقظ « فرتر » الايام الماضية في اعماقه وراح يطالب بنصيبه من الحب والقبلات .وكان احتكاكه بالنساء يوحي اليه قصائد قصيرة طريفة ويلهمه نوادر جميلة ، يسجلها ويقرأها في مجلسه المعتاد ، كما كان يفعل منذ نصف قرن . الا سقياً لايام شارلوت وليلي وفرانسسكا !


هذا الرسم بريشة جوته وهو يمثل منظراً من مناظر ايطاليا

ولكنه اليوم في شيخوخته هذه العاشقة اللاهبة يحار في الاختيار فيتردد بين الموسيقية البولونية الجميلة والصبية الرائعة الفتون : « الريك فون لفتزوف ». اما هذه الاخيرة فما كان احد يظن انه سيجن بحبها كما هو اليوم .ففي السنة الماضية كان يداعبها مداعبات ابوية فيسميها «ايك» او يعقد خصلات شعرها حول اصابعه او يطلق ارانبها البيضاء من حظيرتها لتجري خلفها محاولة ان تعيدها سيرتها الاولى .

انه يحبها حب المراهق لابنة الجيران . فما أن يسمع صوتها المحبوب يتجاوب في مماشي القصر ، ومراتعه الغناء حتى يهجر عمله ويندفع دون عصا ودون قبعة نحو الفتاة الضاحكة التي تناديه فيحملها بين يديه ويركض او يشدها الى حظيرة ارانبها، ليتفرجا معاً على تلك الحيوانات الاليفة الجميلة .

وارتكب الشاعر حماقة فطلب يد «الريك» صغيرته الريك الشهية، ولبث ينتظر حلول وقت الخطبة كشاب لم يعرف من لذة الحب شيئاً ..

وصارح الشاعر ـ بعد ان ناقش طبيبه في الامر مدة طويلة ـ صديقه القديم « الجراندوق » ، راجياً منه ان يقدم وساطته ويذهب ليطلب الى السيدة فون « لفتزوف » يد ابنتها للشاعر المدنف ، وكان الجراندوق لا يزال يذكر اكثر من ليلة من ليالي زفاف «جوته » .. فابتسم حين طلب الشاعر منه وساطته، ابتسامة معنوية ماكرة . وحق له ان يبتسم . فالذي يطلب اليه القيام بهذا العمل الصبياني الجنوني، هو احكم الرجال الاوروبيين واعظمهم حنكة ودراية واتزاناً . انه شاعر كبير ، طبقت شهرته الآفاق ، وفيلسوف عظيم اجمع الاوروبيون على تكريمه بل تقديسه ، واعتبروه صاحب الرأي الاول في حل المشاكل العالمية وصاحب الفكر المتنور الواعي الكلي. وهكذا تقلد الجراندوق اوسمته كلها ، وذهب الى ام الفتاة ـ وقد كانت عشيقة جوته فيما مضى ـ ليطلب اليها ، بصورة رسمية، يد ابنتها ، التي لم تبلغ الثامنة عشرة من عمرها لشيخ في الرابعة والسبعين او تزيد قليلا .

ولا نعلم شيئاً واضحاً حول الجواب . ولعله كان جواباً غامضاً واعداً.. وهكذا بقي « جوته » حائراً ، يحس بحيرته ويواجه في ان يقنع بالقبلات السالفة التي نالها ، وبالكلمات اللطيفة التي سمعها في حين تعصف به رغبة جامحة لامتلاك الصبا والفتوة في صورة فتاته الرائعة .

والشاعر يخلص في حبه هذا اخلاصاً يدفعه الى اللحاق بمحبوبته الصغيرة من «مارينباد» الى «كارلسباد» وهناك يلاقي غموضاً في علاقته بها : اذ تتغير عليه وتبدي له غير ماعودته. فلا قبلات ولا خلوات تحت الشجر ولا غفوات هانئات وراء الصخور.

وتأزف ساعة الرحيل . ويدعو داعي البين . فيترك جوته « كارلسباد » دون ان يتلقى وعداً او عهداً .

وما ان تطرق عجلات العربة حجارة الشارع الضائع في الابعاد ، حتى يحس الشاعر بان حدثا هاماً من احداث حياته اخذ في التصرم والزوال .. ولكن الرفيق الخالد لكل ألم خالد عميق ، والآسي في الساعات المظلمة واللحظات الكئيبة ، حلق بجناحيه الملائكيين على المريض اليائس :واعني به الشعر العبقري والفن الخالق العظيم ، فالعبقرية تحنو على الانسان المتألم حنو المرضعات على الفطيم وتسكب على جرحه اكسير السلوان ، اما من يفتقد السلوان على الارض ولا يجده ، فله السماء الرحيبة وله الله ، يدعوه آناء الليل واطراف النهار .

سيلوذ «جوته » اذن ، مرة اخرى بربة الشعر الحنون .

وسيضمن قصيدته بيتين من شعر « تاسو » :

واذا عانق الانسان الصمت في آلامه
ووطن نفسه على الذهول والكتمان
رأيتني وقد وهبني الله قوة خارقة
أعبر بها عن عذابي وآلامي ...

تصور ايها القارىء العزيز « جوته الشيخ جالسا في عربته، غارقاً في بحر من التفكير والاحلام .. وتصوره يائساً دفع الى نفسه اليأس شك باسئلة يطرحها على نفسه فلا يجد لها حلولا ولا ردوداً ، فقد تراكضت « الريك » في هذا الصباح نفسه ، مع اختها ، لتشهد رحيله ذاك الصاخب ، وفي لحظة الوداع ، طبعت على شفتيه قبلة حارة بثغرها الرقيق المشتهى . ولكن اتكون هذه قبلة حب ام قبلة بنوة ؟ وهل بوسع الفتاة ان تهواه ؟ وهل يسارع النسيان الى قلبها ؟ هل له محل في قلبها ؟

ثم تحول جوته من التفكير بحبيبته الجميلة الى التفكير بابنه هو وبزوجة ابنه .. فهل يسمحان له بالزواج بعد ان ثبت لديه انهما ينتظران ثروته بلهفة كبرى ، هذه الثروة التي ستؤول اليهما بعد موته .. اجل ! فهل يسمحان بزواج كهذا ؟ والناس ؟ الا يسخر الناس به ؟ افلن يصبح في العام المقبل اكبر سناً منه الآن ، وبالتالي عاجزاً او كالعاجز ؟

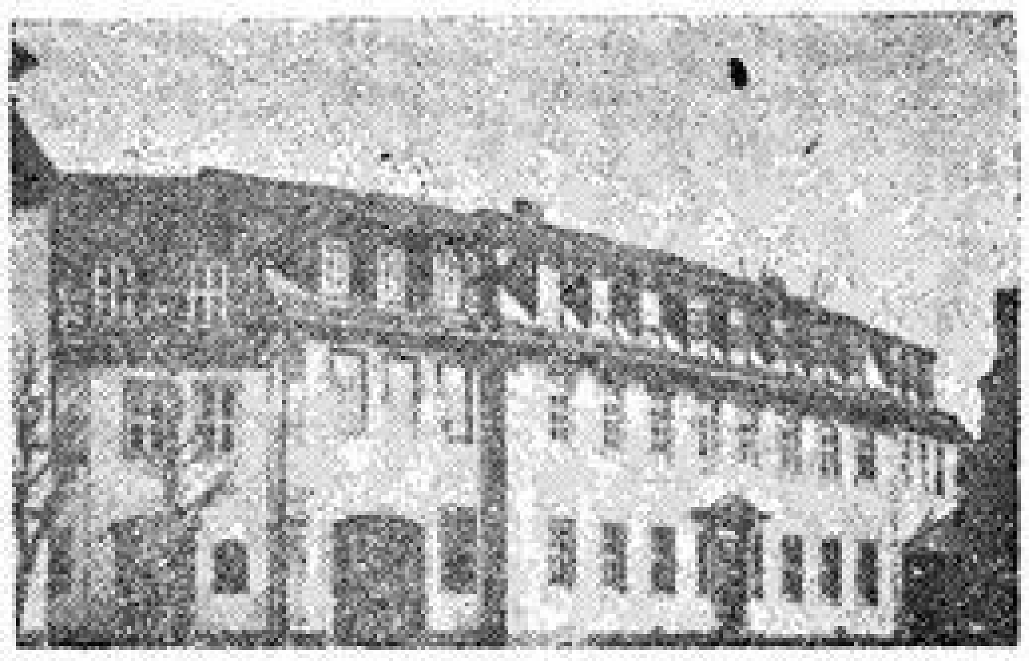
واذا رآها من جديد .. هذه المعبودة .. فماذا يأمل منها ؟

توالت الاسئلة على هذا الغرار ، مقلقة عاتية ، ثم اتخذت اشكالا شعرية ، بسرعة عجيبة . وهكذا تحول الالم شعراً . « وان الله قد وهب للشاعر قدرة خارقة على التعبير عن آلامه » وها هو يعبر عنها بلغة عارية صريحة مباشرة . فتغلغل الصرخة الغامضة المتسائلة ، الى اعماق القصيدة الحزينة ، فتصور احسن تصوير ذلك الاندفاع الداخلي الرحيب .

« اي شيء ينتظرني عند اللقاء ... »
« من زهرة ندية شذية ... تفتحت اليوم ؟ »
« الناس ... في أسرتهم الوثيرة »
« يعبثون بالازهار . بشفاههم العطرة ... »
« اما انا فالنعيم والجحيم منفتحان امامي »
« الحيرة تقلقني وتهد عزمي هدأً ... »

وهكذا نرى ان الالم الذي عطرته وقدسته نفحات الارق والغرام يتدفق الآن من قلبه صافياً عميقاً . والشاعر وقد مرت به حالة من اليأس والغم ، يضطرم بها داخله بألف آهة وآهة ، يرفع الآن نظره صدفة ، ويطلقه في جو ذلك المنظر البوهيمي البديع المطيف به ، في هدوئه الصباحي وسكونه الالهي مناقضاً بهذا السكون . وذلك الهدوء ، اضطرام روحه وثورة نفسه العاتية .

يجيل الشاعر عينيه الحالمتين في السماء ثم يكتب ؟
« لا ترسب في قراءة اليأس ايها الشاعر الغريد ...
ألم يبق لك الكون المتسع الرحيب ؟
وثنايا الصخور المزهرة ، المكللة بالظلال المقدسة ...



ري الى نضوج
السنابل ، وخضرة القرى
القرى المحاطة بالغابات
والبراري التي تحاذي
الانهار ...

•

انظر الى اعماق
السماء ... انظر الى
قبتها الجميلة ...

بيت جوته في وايمار

الغنية آنا بالاحجام والاشكال ... والتي تخلو منها حينا ...
فهي زرقاء صافية ... »

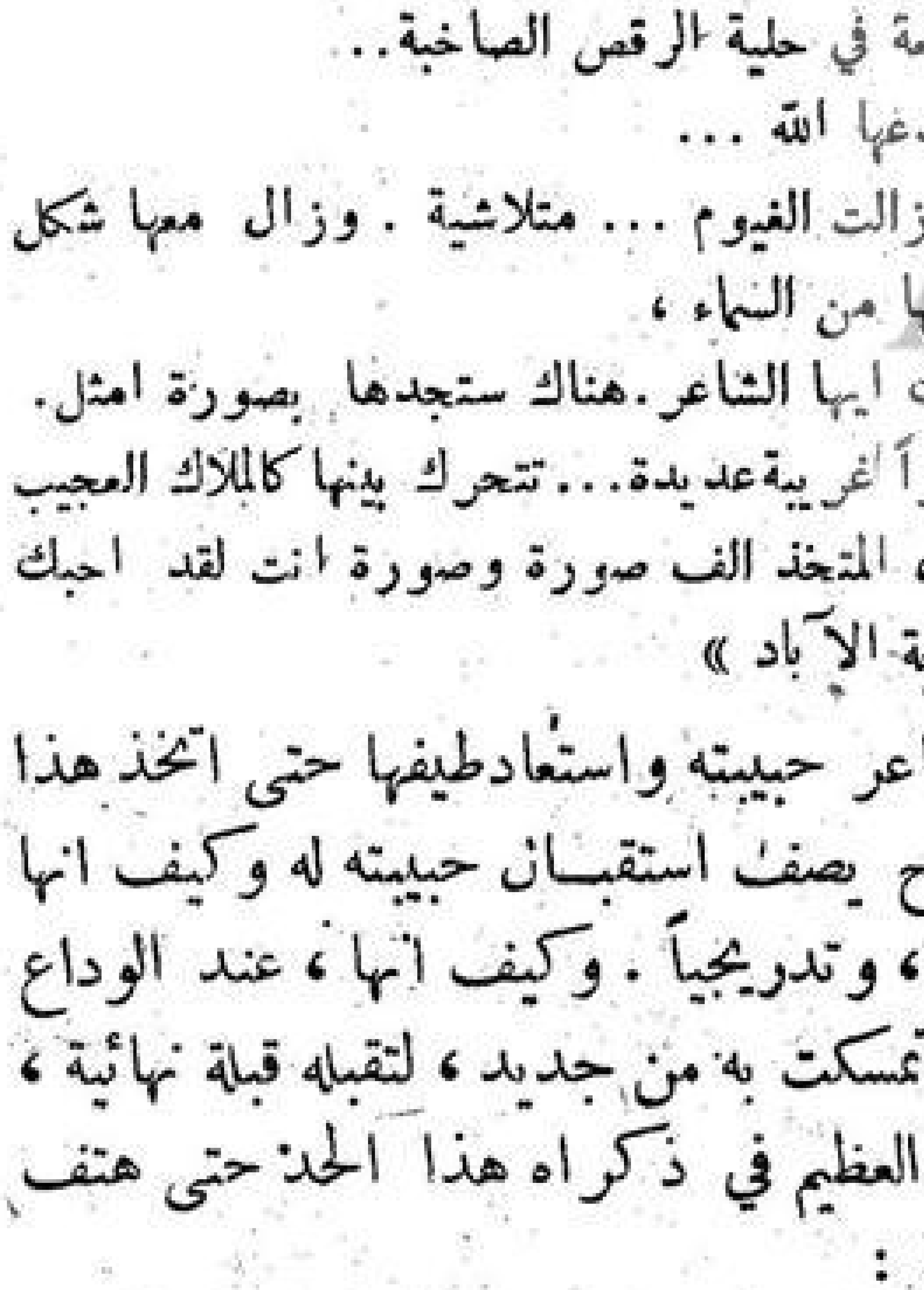
ولكن هذا العالم على جماله وغناه ، اقل حياة واقرب للجمود من ان يروق لشاعر كغوته ، يحس في قلبه سعير الحب ، فهو الآن في حالة الوجد والرغبة حين تتصل بصورة الحبيبة ، فتولد ذكراه متخذة شكلا سحرياً :

« بأية خفة وبأي جمال ، يرتسم بلطف ،
ويرتفع كالملاك ، من ذرى الغيوم الرصينة .
صورة كصورة جيني ، وشكل كشكلها ...
يرتفع هادئا .. في زرقة الاثير ... انه من البخار النير الشفاف
يذكرك بحبيبتك ايها الشاعر ...
حين كنت تراها ملتمعة في حلية الرقص الصاخبة ..
كاجمل الجميلات التي ابدعها الله ...
لحظة واحدة ... اواه ! وزالت الغيوم ... متلاشية . وزال معها شكل الحبيبة ... وغابت صورتها من السماء ،
فادخل الى اعماق قلبك ايها الشاعر . هناك ستجدها بصورة امثل . هناك ستراها ترتدي صوراً غريبة عديدة ... تتحرك بينها كالملاك العجيب
آه ايها الجمال الفريد ، المتخذ الف صورة وصورة انت لقد احبك قلبي ، وسيحبك حتى نهاية الآباد »

وما ان استلهم الشاعر حبيبته واستعاد طيفها حتى اتخذ هذا الطيف شكلا مادياً فراح يصف استقبال حبيبته له وكيف انها جعلته سعيداً شيئاً فشيئاً ، وتدريجياً . وكيف انها ، عند الوداع وبعد القبلة الاخيرة ، تمسكت به من جديد ، لتقبله قبلة نهائية ، وما ان وصل الشاعر العظيم في ذكراه هذا الحد حتى هتف بهذا المقطع من قصيدته :

في انبل جوانبنا ، وفي
ارفع صفاتنا العظيمة .
تطفو شهوة ..
شهوة تريد منا ان نهب
انفسنا بحرية ،
واعترافا بالجميل ..
لكائن ارفع منا
وانبل ، واصفى .
انه كائن مجهول ..
وهذا يعني كوننا اتقياء .

حيث كان يكتب جوته



انه لشعور سام وانا احسه حين اكون بين يديها ...

ولكن هذه الذكرى ، وقد تضمنت حالة من السعادة ، دفعت الشاعر الى العذاب ، فلمسنا الالم في قصيدته هذه واليك بعض نبراته الحزينة :

ها انا بعيد عنها الآن. اين المفر ؟ لست ادري.
قد تقدم لي الحياة اشياء كثيرة جميلة وقيمة...
ولكن لا يسعها ان تعذبني
ووضع الاثقال في رجلي ولذلك اتخلص منها...
ان شهوة لا تغلب، تعمل في احشائي . وتهزني هزاً.
ولا ينجيني منها غير نحيب لا ينقطع .
دعوني هنا، يا رفاق الطريق المخلصين .
دعوني عند هذه الصخرة الجبارة ، في مهوى الثلوج .
اليكم عني ! العالم منفتح امامكم !
الدنى واسعة ، والارض خصيبة ،
والسماء رحيبة ، تمتد بالجلال والجمال.
انصرفوا... يا صحابي الى الدرس ، والعلم ، واجمعوا كل حدث من الاحداث وتمتعوا بأسرار الطبيعة.
ولكن دعوني
لقد فقدت كل شيء! فنفسي فقدت نفسي!
انا الذي كنت لمدة قريبة ربيب الآلهة وفتاها المدلل.
غضبت علي الآلهة وارسلت الي لتجربني.
فتاة لم تر عيني اجمل منها وجها ولا اقسى قلبا.
غنية بالكنوز ولكنها اغنى بالاخطار...
دفعتني الآلهة الى ثغرها المعطاء...
ثم انتزعتني ودفعتني الى الهاوية.


جوته

لم يبلغ شعر « جوته » هذا الحد من اليأس في سالف ايامه فقد طالما امتلك زمام نفسه ، فقاوم دفعات اليأس التي كانت تنتابه في صباه. فكان ينجح في شبابه وعمره المكتمل فيخفي مشاعره الخاصة فلا يعبر عنها الا بواسطة الصور والرموز اما جوته الشيخ فقد افلت زمام امره من يده فصرح ـ وهو الشاعر الوجداني الكبير ـ بحبه على شكل رائع وبدون ستار. لقد صرح بحبه فكتب قصيدة لا تنسى تؤرخ لخريف حياته احسن تأريخ.

حين وصل جوته الى « وايمار » كان اول ما قام به ـ قبل استئناف اعماله الادبية والسياسية ـ هو نقل هذه القصيدة بخط يده ، نقلا فنياً متقناً ، فقضى كالراهب في صومعته ، ثلاثة ايام يعنى بها فيرسمها بحروف ملكية ، على ورق فاخر انيق ، وانتهى من نقلها فأخفاها حتى عن الخلص من اصدقائه ، وليتجنب الثرثرة ، اتخذ مهنة صانع المجلدات لجمع اوراقها وشدها بخيط من الحرير الازرق متخذاً لها دفتين من الورق الازرق المقوى .(ونستطيع اليوم ان نرى هذه القصيدة ، في مجلدها هذا الانيق ، في متحف غوته وشيلر).

ومرت الايام مربدة حزينة . فان محاولته الزواج بمن يحب لم تثر عند اصدقائه وذوي قرباه غير انواع السخرية بل ان ابنه لم يعصم نفسه من ان يقابله بنوع من البغضاء الصريحة ، امضت جوته الرقيق الحنون فأظلمت الدنيا في عينيه فعاد الى « قصيدته » ليتصل بحبيبته الجميلة في الخيال ان تمنعت عليه في حقيقتها وواقع وجودها .

واخذ يتناساها ، ليخفف عن نفسه العذاب . وكاد ان ينجح اخيراً حين انصرف انصرافاً كلياً الى اعماله السياسية والى تنقيح مسرحيته الكبرى « فوست » ولكن ها هي الحبيبة تاتي لزيارته . اجل انها هي بلحمها ودمها ! بشفاهها الطفولية المغرية وشعرها الذهبي الاجعد ، وخصرها الفتان .

لقد طوقها ليروي لها ، بالقبلات والعناقات خبر تلك الليالي الطوال التي قضاها في الارق والسهاد . ولكنه تطلع حوله فوجد في صحبة فتاته ، المغنية البولونية الحسناء « سيمانوسكا » وصديقه الشاعر « الحرمان » وبعض اصدقائه من ماريتباد .

شعر جوته بالغبطة والحيوية واحس بان ايام ماريتباد ستعيد نفسها بأجمل ما تنطوي عليه من اللذة والاحلام.

وليدلك جوته على مدى محبته لقصيدته « حسناء ماريتباد » اعلن نبأ قراءتها في السهرة الاولى التي يجتمع فيها الضيوف ، وما ان استقر بهم الجلوس حتى دفع جوته القصيدة الى صديقه ونجيه « اكرمان » ليقرأها لحبيبته وللمغنية البولونية الحسناء ولمن معها من الضيوف الاعزاء .

وبعد يومين انصرف الضيوف ومعهم الحبيبة الغالية. فأحس جوته ـ بعد ايام الانبعاث والحيوية التي مرت به ـ احس باليأس يملأ جوانب نفسه فتحولت فورة « الشباب » عنده الى انحطاط شديد في القوى ، ثم الى مرض اشرف منه على الموت. فكان يجر جسمه جراً من السرير الى الاريكة ومن الاريكة الى ولده وزوجته في سياحة طويلة ولم يبق قربه احد ليعنى به او يحمل العزاء والتسلية الى نفسه المعذبة .

وفي ذلك الوقت وصل « زلتر » احد اصدقائه المخلصين من برلين ، وقد تعود ان يبثه جوته اكبر اسراره واعمقها.



وقد كتب « زلتر » فور وصوله :

« ماذا ؟ ماذا اجد عند عودتي الى هنا؟ اجد رجلا كان في احشائه حباً جامحاً كاجمح

جلد الحمار

بقلم نجاتي صدقي

❖

قصة

هطلت الامطار الغزيرة في يوم من ايام الخريف، واجتاحت المدينة موجة من البرد والرطوبة، ثم سطعت الشمس وارسلت اشعتها الذهبية لتبخر المياه الفائضة، فتطرد الرطوبة، وتبعث الدفء في النفوس.

وفي صباح احد هذه الايام التي كانت الشمس فيها مرغوبة كالشرب والغذاء، هرعت الى حديقة المدينة مصطحباً كتاباً، لتكون الفائدة مزدوجة، واخترت مقعداً اقابل منه وهج الشمس وجهاً لوجه، وامتع النظر بمرأى صغار البط وهي تعوم في الحوض الواسع، والطيور تحوم هنا وهناك تلتقط الحب ورذاذ المياه الصاعد من النافورة المربعة الاطراف.

جلست على جانب من المقعد: وكان يجلس على الجانب الآخر رجل مطرق الرأس، تدل هيئته على انه يعاني المأ في النفس، ولم تكد عيناي تتصفحا وجهه حتى عرفت فيه الصديق القديم الاستاذ رجائي مخلص. فاقتربت منه والقيت عليه التحية فرد علي بمثلها وافتر ثغره عن ابتسامة مغتصبة. وبعد ان اخذ كل منا مكانه بادرته السؤال عن السبب في حزنه، فقال: السبب في ما يكون حب البشر!! ومعه آلام الشباب ووساوسه الغريبة ».

وراح الصديق يبحث عن وسائل العلاج. واهتدى اخيراً الى قراءة قصيدة « حسناء مارينباد » – ودواني بالتي كانت هي الداء! – فكانت تفعل في عقله وجسمه فعل السحر. وظل الصديق يرددها حتى حفظها عن ظهر قلبه. وكان يقول لصحبه « وهكذا جاء الشفاء، من السهم ذاته الذي احدث الجرح ».

ان جوته وجد في قصيدته درباً للخلاص قهر بها الالم بعد ان دفن في تراب الحياة امله بالزواج من « الفتاة الصغيرة الجميلة » فوجد ملاذاً رحيباً في رناتها الصافية وجرسها الالهي الرتيب.

هو يعلم بانه لن يذهب ابداً بعد اليوم الى كارلسباد او الى مارينباد، وان الحبيبة – بعد ان تزوجت اخيراً – لن تأتي لزيارته في مستأنف الايام، وسيقتصر بعد اليوم على قضاء وقته بالعمل الجاهد المنتج بعيداً عن المرح والامل والسعادة.

انه رفض – او رفضت الايام – ولوج ذلك المفرق الجديد الذي اتاحته له نزوة من نزوات نفسه الكبيرة، فتحول الى العمل متخذاً له شعاراً آخر: وهو الكمال. عليه ان يكمل قصائده ويكسبها شيئاً من العناية الفنية، تبلغ بها ابعد ابعاد الخلود.

القي نظرة الى الوراء فراى عملا ادبياً يشغل حيزاً من الزمن يزيد على الستين عاماً، وهو عمل مبدد متفرق. وشعر بعجزه عن البناء فراح يجمع هذا العمل الادبي فنشر « نتاجه الكامل » دفعة واحدة وفيه كثير من القطع الجديدة التي طواها في الماضي.

وعاد حبه الضال، المرفرف على شفاه حسناء لعوب في الثامنة عشرة من العمر، الى الاثرين الذين احبهما في حياته اشد الحب وهما: ويلهم « ميستر » و« فوست » ها هو يعود الى العمل بقوة.

وبعد سبع سنوات من العمل الجاهد، والنظر الفني، والاستلهام العبقري، انهى جوته هذين الاثرين، وعني عناية خاصة بفوست فجاءت – كما يعرف القراء – رائعة من روائع الانسانية.

اما أمله وحسراته، ولهثاته الحمراء التي لا زال حبه « لالريك » يؤججها فيه، فلم تخفت لحظة واحدة، ولكنه كان يخفي حبه عن الناس، لقداسته وعظمته، ولو استطاع لاخفاه عن نفسه!

وهكذا بين هذين العالمين المتقابلين: من الشعور، بين هذه الرغبة الجامحة وذلك الامتناع القاسي المؤلم، خلد تاريخ الخامس من سبتمبر سنة ١٨٢٣، وهو وداع كارلسباد، وداع الحب الذي ادخلته في حرم الخلود، آهة ناحبة مؤثرة.

وقد مات جوته – كما يروي التاريخ – وهو يطلب الى من حوله، بصوت مختنق، ان يفتحوا النافذة ليرى النور، والحقيقة ان خيالا.. ظل امرأة.. رائعة الجمال.. مكتملة الالوان.. ساحرة.. ملائكية.. كانت ترتسم في السماء كالسحابة المتحولة الساكنة، المغمورة الاطراف بالنور، وتشير له الى العلاء، بيننانها الاحمر الندي.

حزني هو سوء طالعي ! قلت : وكيف ذلك ؟.

واغتنم الاستاذ رجائي هذه الفرصة ليخفف الحمل عن نفسه وراح يروي لي مأساته قال : تقلبت في مناصب مختلفة مدة خمس عشرة سنة ، وكنت لا البث في عملي اكثر من سنة وسنتين حتى استقيل او أقال .

فعملت اولا في الدائرة (آ) واذا برئيسها شخص صلف متعجرف يدخل المكتب صباحاً دون ان يلقي على موظفيه تحية ، واذا بادروه بالتحية اشاح بوجهه .. وحدث مرة ان لفت نظره الى هذا العيب بحذر ولطف ، فما كان منه الا ان هب في وجهي كما لو انه اصيب بصرع ، وانتهى الامر باستقالتي .

ثم عملت في الدائرة (ب) وكان المشرف عليها غراً احمق قد شغل مركزه عن غير جدارة واستحقاق يريد من موظفيه ان يشعروا دائماً انهم عبيد له ، وانهم لا يتناولون رواتبهم لأنهم يقومون باعمال مضنية بل لانه يتكرم عليهم بهذه الرواتب شفقة منه ومنة ، وقد سألني هذا المشرف مرة ان اجمع من الموظفين مبلغاً من المال لنشتري به هدية نقدمها له في يوم عيد ميلاده ، فاعتذرت ، فدبر لي مؤامرة اقلت فيها من وظيفتي .

ثم اشتغلت في الدائرة (ج) وكان المسؤول فيها شخص والعياذ بالله من الشيطان الرجيم .. لا تدري من اية بذرة ولد !. ولا من اي رحم سقط ! .. ابتسامة عريضة وكلام معسول . ومراوغة ثعلبية ، وافتراس على طريقة الذئاب .

وفي يوم استدعاني الى غرفته وقال : انني اثق بمقدرتك ! قلت : هل من خدمة تريدونها ؟.. قال: انني مستاء من الموظف زيد وارجو ان تضيق عليه الخناق ، وتجعل حياته جحيما لا يطاق ، فما عليك الا ان تتحرش به وتستفزه فاذا ما غضب واعتدى عليك كانت نهايته !. قلت : ولكن هذه مهمة قذرة وانا لا ارضاها على نفسي ، وانني لا اجد اي مبرر يسوغ لي قطع رزق شخص انت منه مستاء . فاستشاط المسؤول غضباً وقال: ان لم تفعل ما طلبته منك ستفقد عملك ، فاسرعت بالاستقالة.

ثم توظفت في الدائرة (د) وكان مديرها يبدو متديناً لا ينفك عن ذكر الله صباح مساء فاذا ما ازداد راتبه قال : الله راض عني .. واذا ما الم به وعكة قال : غضب من الله .. واذا ما وقعت فتنة في بلد ما من الكرة الارضية قال : يبدو ان القائمين على شؤون ذلك البلد لا يقومون بواجباتهم الدينية فعاقبهم الله بفتنة ! .. واذا ما احتفى بلد بعيد قومي قال: لاشك بان سكان ذلك البلد هم من المؤمنين المتعبدين ! .

وهكذا لا يرتاب المرء قط بان هذا المدير ينتسب الى ولي او قديس ومع ذلك قال لي مرة : الا توافقني بان الطابعة فيروز هي مثال الدلال والرشاقة ؟ . قلت : وما يهمني من امرها ؟ ..

قال استغفر الله .. انت لم تفهم قصدي ، اريد ان اقول ان الفتاة لعوب تذيب حشاشة القلوب .. وانا رجل في العقد الخامس من عمري ويلوح لي ان الانسان في هذه المرحلة من حياته يصبح شرساً مثله مثل المدمن على شرب الخمر وهو يقبل على احتساء الكأس الاخير ! . اجل ، ينبغي على المرء ان يرفه عن نفسه بين حين وآخر ، وليس القصد ارتكاب المحرمات وانما اللقاء في مكان ما حيث نكون ثلاثتنا ، انت تشرب وانا اتصبب !، قلت : ارجو اعفائي من هذه الدعوة فانا موظف لا اكثر . قال: يلوح لي انك غبي. قلت: قل في ما تشاء لكنني لن اجاريك في مخازيك.

ولما اقبلت السنة المالية الجديدة تلقيت كتاباً من الدائرة تعلن فيه استغناءها عن خدماتي .

وقبل ستة اشهر توظفت في الدائرة (هـ) وكان المشرف عليها يحب الاستئثار بكل شيء ، ويكره الاستماع الى اية ملاحظة ، ويمقت كل موظف نبيه مفكر ، ومن طباعه انه اذا قال للموظف في شهر تموز ان الامطار ستهطل فعليه ان يقول له وان الثلوج ستسقط ايضاً .. واذا قال له انه يرى في الشمس الساطعة كسوفاً فعليه ان يقول له وان القمر سيصاب بخسوف ايضاً .. واذا قال له: انه لا يشعر بدوران الكرة الارضية فعليه ان يقول له وان الارض ثابتة لا تتحرك وان كوبرنيك وغاليليو راغمين في التراب ، وانما الذي يتحرك هو الناس في سياراتهم وطائراتهم !..

ولما عارضته في طرق تفكيره هذه وسفهتها حلت الطامة الكبرى ، فاصبحت في نظره ساقطاً ناكرا للجميل ، ورأى انني لا استحق العمل في حاشيته فاوعز لي بترك الدائرة مختاراً ، وكان له ما اراد .

التفت الاستاذ رجائي الي وقال : هذا هو سوء الطالع الذي يسبب لي الآلام والاحزان .

قلت : لم تكن حكيما في سلوكك .. وما رأيك في ان اهديك الى طريقة تتغلب بها على سوء طالعك ، وتصبح من اسعد المخلوقات !.

قال : انجدني انجدك الله . قلت : تفضل بزيارتي في بيتي غداً وساقدم لك هدية ثمينة تجد فيها ضالتك .

وفي مساء اليوم التالي جاءني الاستاذ رجائي وقدمت له الهدية .

- قال مستغرباً: ما هذا ؟. قلت: جلد حمار! قال: وما فائدته ؟.

قلت : البسه في حياتك ، ارتده وانت تعمل في اية دائرة ، او شركة ، او مكتب ، واؤكد لك بانك ستكون من الناجحين المتفوقين!

فحمل الاستاذ رجائي الهدية خجلا ، وانصرف شاكراً .

وتنقضي سنة من الزمن ، وبينما كنت اسير في الشارع الرئيسي رأيت الاستاذ رجائي ينزل من سيارة فخمة ، ويسير متبختراً وفصوص الحجارة الكريمة ترسل من خواتمه اشعاعاً يعمي الابصار!

نجاتي صدقي

في ضباب التأمل

مهداة الى الشاعر الاستاذ (ع:ا.ن)
الذي كتب الي يطلب نبذة
موجزة عن حياتي

•

للآنسة فدوى طوقان

•

نابلس

في ليلة مجنونة الاعصار ، ثائرة مثيره
تتراقص الاشباح فيها خلف نافذتي الصغيره

***

القيت فوق وسادتي آلام روح مثقل
مصدومة الآمال اسبح في ضباب تأملي

***

ومضيت شاردة اقلب في الظلام كتاب عمري
صور واطياف كئيبات تلون كل سطر

فهنا خيال شاحب لم ترحم الدنيا ذبوله
هذا خيال طفولة لم تدر ما مرح الطفوله

***

وهنا صبى عضت عليه قيود سجن واضطهاد
باك ، ذوت ايامه خلف انطواء وانفراد

***

وهنا شباب ما يزال يجوس قفراً بعد قفر
متحرقاً ابداً الى شيء .. الى ما لست ادري!.

***

تغذوه نيران الحياة لظى فيلتهب التهابا
ويهيم فوق دخانها .. متعطشاً يقفو السرابا

***

احلامه الحيرى معلقة بأفلاك النجوم
ستظل احلاماً عطاشى تائهات في السديم

***

وهناك ، عن قمم النزوع ، هناك عن قمم الطموح
دنيا منى وبروج آمال تهاوت للسفوح

***

وتململت بقفار قلبي في فراغ توحدي
نفس تسائل نفسها في حيرة وتردد :

***

لم جئت للدنيا ؟ اجئت لغاية هي فوق ظني ؟
املائت في الدنيا فراغاً ، خافيا في الغيب عني؟

***

ايحس هذا الكون نقصاً حينما اخلي مكاني ؟!
واروح، لم اخلف ورائي فيه جزءاً من كياني ؟!

***

ان كان غيري في وجودهم امتداد للوجود
صور ستبقى منهم .. يحيون فيها من جديد..

***

فأنا سأمضي لم اصب هدفاً، ولا حققت غايه ؟
عمر نهايته خواء فارغ .. مثل البدايه !

***

هذي حياتي ، خيبة وتمزق يجتاح ذاتي
هذي حياتي ، فيم احياها ؟ وما معنى حياتي ؟!

جبران خليل جبران ورسمه الرمزي

بقلم عدنان الذهبي

جبران

خليل جبران اديب ، ورسام ، له ، باصالته الفنية في كل من الادب ، والرسم ، قدم راسخة ، في تاريخنا العربي المعاصر ، وتاريخ الفنون الاوروبية الحديثة نفسها !

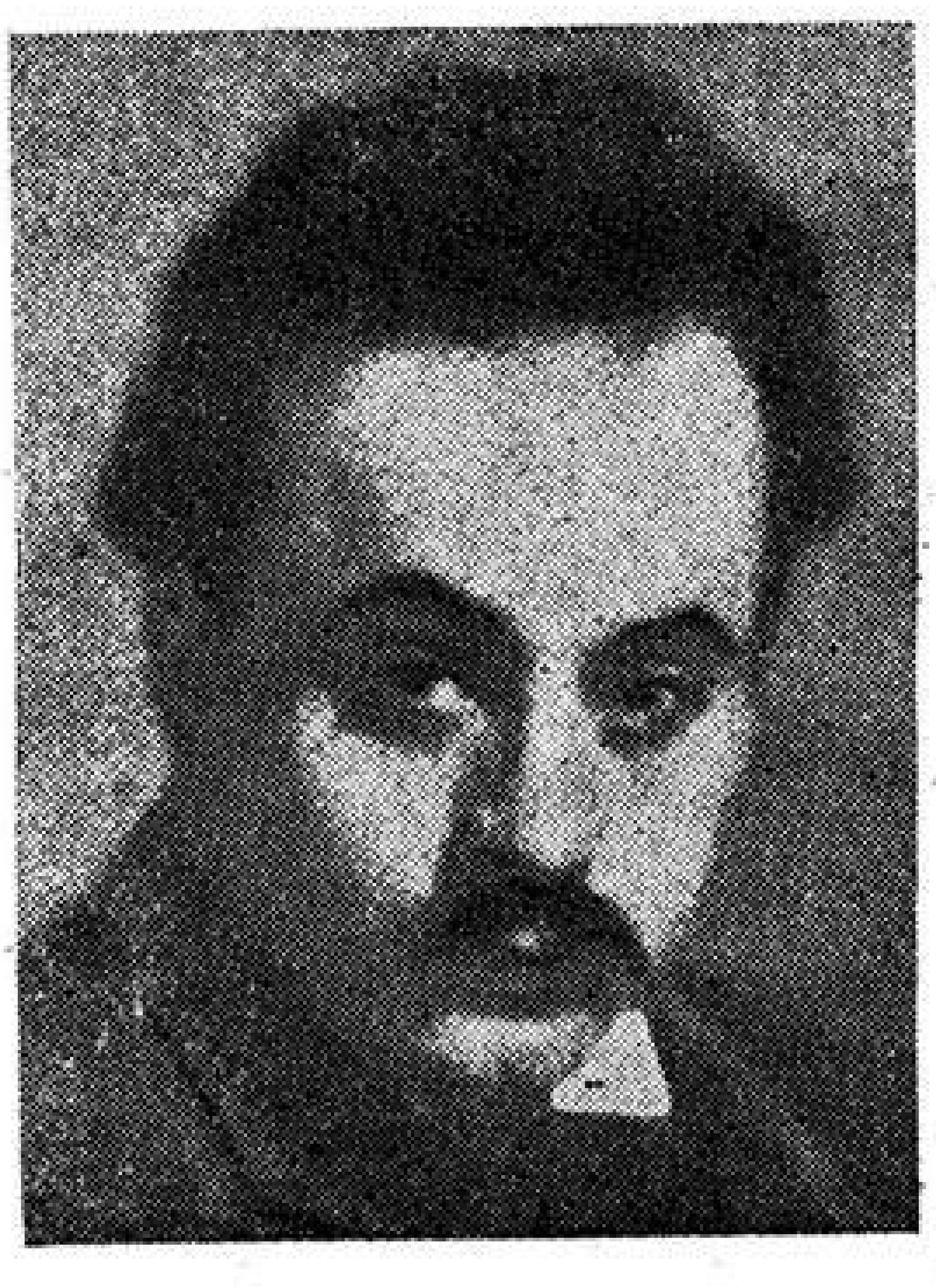
وفنونه ، في الحقيقة ، ثرة المطرحات الجمالية ، زاخرة بكل ما كانت اعتلجت بها نفسه من حيوات انسانية ، وفنية ، تبرز ما امتاز به جبران خليل جبران ، في كل من ادبه ، ورسمه ، الا وهو النزعة الرمزية ، التي عاشها ، وبشر بها ، في ادبنا العربي الحديث !!

ونحب ، نحن هنا ، ان نتحدث عن رسومه الرمزية ، وما ظهر فيها من خصائصه الاسلوبية ، تاركين ، لمناسبة ثانية ، ان شاء الله ، الكلام في خصائصه الاسلوبية ، في كتاباته ، المختلفة القوالب الادبية !!

والرمزية عند جبران خليل جبران ليست نزوة عابرة ، كالتي عهدناها عند من سبقه من الادباء والشعراء — وبخاصة العرب منهم ، في فنيتهم البعيدة عن التمذهب الغربي — عهدناها عند هؤلاء ، اذن ، توجد التشبيهات ، والاستعارات الرمزية ، الطارئة في الاسلوب ، لا ، وانما هي تمذهب روحي ، وفكري قد عاشه هذا الاديب الموهوب ، وبشر به في الادب العربي المعاصر الحديث ، نستطيع تلخيصها عنده ، هنا بصوفيته الحلولية ، المسيحية ، التي كانت طابعه في الشعور ، والتفكير ، من جهة ، وبقوة خياله المصور ، الخلاق ، الذي اعطى لاسلوبه طابعه التصويري في التعبير ، من جهة ثانية !!.

اما رسوم جبران خليل جبران ، فهي في الحقيقة عديدة ، مختلفة الموضوع ، متنوعة الاجواء : منها ما كان اودعه كتبه الادبية ، التي يكاد لا يخلو كتاب منها من رسم رمزي ، يعبر عن الفكرة التي يعالجها الكتاب معالجة ادبية ، ومنها ما كان اودعه كتاباً خاصاً ، اسماه (باللوحات العشرين) ، ومنها ما هو موجود في متحفه في كل من بشبري ، وبوسطن ، وهي ايضاً ، عديدة ، تزيد على المئة لوحة بين رسوم زيتية ، ومائية ، وفحمية !!.

وهذه الرسوم ليست كلها رمزية ، كما ان ادبه ليس كله رمزياً ، الا ان المسحة الغالبة والاصيلة حقاً ، فيها ، انما هي المسحة الرمزية .. ولا سيما ونحن نعلم ان جبران خليل جبران كان يلجأ احياناً الى الرسم العادي في حالات هي اشبه ما تكون ، موادعات يرسم فيها اصدقاءه ، او احياء منه لتراث بني قومه من العرب الذين رسم لعباقرتهم واعلامهم رسوماً عدة !. وبهذا اذن بقي لرسوم جبران خليل جبران الرمزية الحق موضوع نشيده الفلسفي ، الذي ابدع التعبير عنه : ان في الادب او في الرسم ، الا وهو الانسانية ، الانسانية بمشاعرها ، وافكارها الانسانية في اوضاعها المؤلمة واللذيذة ، الانسانية التي كان يوحد نظراته المبعثرة فيها هذه النظرة الحلولية المسيحية الى الوجود .. وهي هذه النظرة التي تجلت في الاطار الذي اتخذه جبران خليل جبران لرسومه الاطار الرمزي الذي لا تكاد تخلو منه صورة من صوره : وهو لزوب الانسان بالارض ، الارض التي يرسمها جبران خليل جبران مهداً للانسان او مسرحاً لآلامه ولذائذه ، او لحداً له ولذكرياته ! ! (تأمل الرسم الاول ، الذي انتقيناه من كتاب (النبي) ، وسياق حكمته كالآتي : « لا يقل ذو الحنين الكثير



•جبران خليل جبران



الى ذي الحنين القليل : لماذا انت كسيح بطيء !؟ .

لان الصالح الصالح لا يسأل العراة : اين ثيابكم ؟ ! ولا الغرباء : اين منازلكم ؟ ! »والصدق في التعبير هذا الصدق الذي كان يصدقه جبران خليل جبران، او لنقل الاخلاص الذي اخلصه هذا الاديب المطبوع للفكر والفن، نقول اذن هذا الصدق في التعبير ، وهذا الاخلاص للفن ، هما في الحقيقة النبراس لنا في تفسيرنا لهذه الاصالة الفنية العميقة التي لكل من رسومه، وادبه على السواء هذه الاصالة التي تجلت في الوضوح الذي لكل من هذا الرسم ، وذاك الادب !!.

واما هذه الاصالة ، فحسبنا من بطانتها الوجدانية، الفكرية، ما كنا قلنا، فيه هذه التصوفية الحلولية المسيحية ، التي كان عاشها جبران خليل جبران ، « نبياً » ، لا يدري في حيرته الوجودية ، ماذا يقول بين متطلبات الارض والسماء ، نبياً ، ينادي بالمحبة وسط كل ما يضج به الوجود من مآسي اللذة والالم ، العدل والظلم الحق والدين !! (تامل الرسم الثاني ، الذي انتقيناه من كتاب (رسل وزبد) ، وسياق حكمته كالآتي: « ما من رجل يستطيع ان يفصل بين الضروري ، وغير الضروري من الحاجات لان هذا العمل من ميزات الملائكة ، والملائكة حكماء اذكياء ! ومن يدري اذا لم تكن الملائكة افكارنا الفضلى في الفضاء ؟ ! »

وليت شعري عم يتكلم الناقد ، الدارس لرسوم جبران خليل جبران ، ام ايها يتخذ مداراً ، لتحليلاته الوجدانية ، الفكرية والاسلوبية !!.وكل رسم من هذه الرسوم ، حقاً فلسفة ودين ،ودعوة الى نظرة للوجود جديدة وايمان بالموجود والموجد خاص؟.

وعلى كل حال، ان كنا نكتفي بهذه الخطوط الاساسية عن جبران خليل جبران،وعن المضمون الوجداني الفكري، الذي كانت بطانته التصوفية المسيحية مادتها الفنية الخالقة، فيكفينا، بما يتعلق باسلوبه الفني التعبيري — من غير النظر في عصره، وتاريخه وتاريخ المدارس الفنية فيه، وخاصة ما كان احتك بها — يكفينا منها اذن، ان نبرز هنا عنده بالفعل، هذه الاصولية،التي مردها في الحقيقة لديه لا اقول فقط تربيته الاولى تربيته المسيحية العميقة السلفية فيه ، ولكن ايضاً اخلاصه في فنه لذاتيته المتفننة ، هذا الاخلاص المتجرد المفيد !!.



وبهذا اذن استطاع جبران خليل جبران ، في هذا الرسم الرمزي الذي اندفع في بحره ، ان يتحرر من فنية القصص الرمزي وخاصة الديني منه والذي نعهده عند الرسامين القصصيين الذين يقصون علينا في رسومهم قصة دينية او فلسفية او اذا نحن لم نقل دينية او فلسفية فقصة تاريخية مؤثرة !! بل كان من هؤلاء المجددين الاصوليين الذين بوقوفهم على الذات المفكرة الشاعرة وبوارقها الفكرية والوجدانية — وبخاصة التأملية الفلسفية عند فناننا جبران — كانوا يجسدون منها الانساني المجرد المتعلق بحقيقة الوجود ، واوضاعه !!.

ورسوم جبران خليل جبران ان كان منها ما هو زيتي ومنها ما هو مائي ومنها ما هو فحمي الا انها كلها تحمل هذا الطابع الاصولي الرمزي الجديد حقاً والاصيل!!.واما الخطوط في هذه الرسوم والالوان وتوزيع الاضواء فهي في الحقيقة في وضوحها واتزانها الاصولي الذي ظهرت عليه سهلة التفسير وتفسيرها في الحقيقة هو في هذه الفلسفة التصوفية الحلولية التي كانت اساس تفكيره

اعلام الادب الفرنسي

جي دي موباسان

بقلم خليل عزيز شطا

مدرس الفرنسية بكلية الآداب السورية

ما كتب موباسان قصته الاولى «كتلة من دهن» حتى كتبت له الشهرة. وتفوق على الكتاب الواقعيين قاطبة، حتى ان النقاد، امثال برونتيير الذين نصبوا العداء للنزعة الواقعية اخذوا يشيدون بفضله ويقرون بتفوقه. فاصبح علماً من اعلام القصة في فرنسا.

لقد قضى موباسان في مقاطعة النورماندي اعذب ايام طفولته، واجمل سني شبابه حراً طليقاً يعب من بهاء الطبيعة النورماندية التي اصبحت خالدة في قصصه ابد الدهر.

وقد تطوع في الجندية عام ١٨٨٠. فشاهد بعض المحن التي حلت بفرنسا اثر هزيمتها. ثم جاء الى باريس بعد الحرب، وانخرط في الوظيفة طلباً للقوت، فعين اولا في وزارة البحرية، ثم وزارة المعارف حتى اذا ما اشتد عوده تفرغ للادب وضمن استقلاله، وهو اعز ما في الحياة.

ولم يضع موباسان وقته في الوظيفة، بل افاد منها كثيراً، اذ صور في قصصه الخالدة اخلاق زملائه الموظفين في شيء من السخرية والاحتقار، ورسم فيها بعض المشاهد الطبيعية الرائعة.

ولئن كان همه اتقان فن الكتابة، الا انه لم يقتصر على المطالعة وحدها، فقد كانت بنيته القوية تجعله يتهافت على اللذة والرياضة. وكثيراً ما كان يختلف الى نوادي المجتمع الراقية، ولذا لم يكن يقبع في برجه العاجي، شان فلوبير استاذه، وشأن زولا وغيره من الكتاب الواقعيين.

لقد وصفه روجون، وهو اعرف الناس به. قال: «لم يكن موباسان يحلم الا بالرحلات في الهواء الطلق. كما كان يحلم بالرياضة والتجذيف على القارب يوم الاحد. كان يمعن في الشراب، ويأكل بنهم ولا ينام الا لماما. واذا اردت ان تتمتع به فلا بد لك من ان تقضي يوم الاحد في صحبته. فتراه ينتظر اصدقاءه في المحطة، وقد وضع على رأسه قبعة صياد السمك، وغطى صدره بقميص من القطن المخطط، وعرى ذراعيه المفتولتين. وهو لا يتورع، اذا ما اقترب من اشخاص عرفوا بحيائهم، او من كبار موظفي الدولة، من ان يسمعهم الفاظاً يندى لها الجبين. وفي الحال تراه يسدل شراع مركبه، ويذهب بك في فسحة لطيفة زهاء ساعتين يسرد عليك فيها قصصاً ممتعة فيضحك حتى يكاد يشرف به المركب على الغرق».

ان ذلك الفتى «اللعوب» قد انضوى تحت راية فلوبير الذي تبناه واهتم به كل الاهتمام. وكانت رغبته ان يتمتع باسلوب فني رائع وان يصبح شاعراً عظيما، فلقنه استاذه اعز تعاليمه الا وهي قدسية الفن، والواجبات الملقاة على عاتق الفنان. وحذره

ـ البقية في صفحة ٦٥ ـ

وشعوره وتعبيره تفسيرها اذن هو: هذا الهدف الفني الاساسي الذي استهدفه في كل من كتاباته ورسومه: وهو التلقين الفكري والوجداني لا التاثير الحسي البراق !!.

جبران خليل جبران — حتى في رسومه الرمزية هذه — يريد ان يعبر عن شيء، يريد ان يعبر عن فكره عن احساس عن وجدان مهما تكن الصورة التي ستكون لهذا التعبير !!. وما اسمى هذه الغاية في اهدافها بل ما اجمل هذه التجربة التاريخية الفنية. التي يبرز لنا جبران خليل جبران فيها — نتيجة لصدقه في التعبير — ميزته الفنية التي تجمع الى سلفية التأليف العادي، مسحته الرمز - التلقينية، في رسوم ايحائية عميقة الايحاء، اصيلة عميقة الاصالة، واضحة في اشكالها متزنة في خطوطها والوانها واضوائها !!

القاهرة — عدنان الذهبي

الى «س»

كل يوم يموت لي حلم جديد
وفي الليلة الماضية دفنت آخر احلامي
وعدت مجدبا الى البيت :
لا اهتزازة ولا انة ولا دمعة ،
وانما مجموعة رؤى جامدة
على رفوف خيال .

وتخبطت قدماي في ظلام المنزل ،
وصعدت الى غرفتي الموحشة ،
وتمددت في الظلام على الفراش البارد .
كنت استمع الى انفاسي الهادئة ،
وكانت العربة تترنح في خاطري
ورذاذ المطر ينقر سقفها الاحدب .
والربيع يتنفس في احضان الليلة الدافئة
ويشيع الطمأنينة في كل شيء ،
ولكني تحسست قلبي فوجدته حجراً ،
وكنت وحيداً في العربة الهرمة :
مع آخر آلامي ..

كانت «هي» هنالك قبل لحظة
تزقني القبل على وقع حوافر الجوادين ،
ولكن الجو اربد فجأة ،
وعصفت الارواح الثائرة ،
فاختفت مسرعة بين اشباح الشجر
وانطفأت في افق حياتي ،
وراح قلبي المسكين يدفن في الظلام
آخر احلامه ..

اني احسس هذه الزهرة البريئة :
زهرة البرتقال !
لقد دفنتها طويلا في جيبي ،
بعد ان اختطفتها امس من بين نهديها .
ها هي ذي ميتة على راحتي .
لقد انهشم عودها اليابس ،
وخنقتها اوراقها الخضر ،
ولم تبق فيها ثمالة من عطر .
انها كقلبي الذي مات
ودفن في الظلام آخر احلامه .

على اصابعي ما تزال اثارة من عطرها «هي»
وعلى شفتي تحوم ابداً شفتاها .
ولكن اين هي الآن؟ اين رفيقتي «س» ؟
لقد اختفت امس بين اشباح الشجر ،
انطفأت فجأة في افق حياتي ،
وراح قلبي الجامد يدفن في الظلام
آخر احلامه ؟

بغداد **عبد الملك نوري**

رق

بأنين متأوه :
لاحرث . لا احتطاب بعد .
الاعصار يزأر : رق .. رق
كهزيم الرعد ..
ارتجف الكوخ ، فانتثر اشلاء
وجنت الرمال ، وانحدر البلاء
فكفن الواحة .. ثم ذراها .
« دس المنبوذ جسمه ، المهلهل الاسمال »
« وغاص بين الحلفاء والرمال .. »
والكلمات المرتجفة تصر بين فكيه :
صحراء .. صحراء ..
ظلمة باردة مكشرة عن :
قسوة متنمرة .. صمت قاتل شرس
ضجر أكول مفترس .
يقضم العظم : ويرضع الدم
وينفث الالم سغب اصم
وضمير الطغيان كافر لا يندم
برد .. برد
تململ متكوراً يتمتم :
أين اجده .. أين ؟ :
الخبز .. ؟ الخبز ؟
جدب قاحل . وعصا المسغبة عمياء
تضرب عشواء فتصرخ الاحشاء
قيود تجمد الاعضاء ..
بسلاسل مشدودة للارض ،
عاوية : رق .. رق ..
الى القبر .. الى القبر ..

بغداد **فالح العسكري**

مزمور الحياة

للشاعر الاميركي هنري لو نغفلو

لا تقل لي بالحان باكية
ان الحياة ليست الا حلما فارغاً
لان الروح التي تنام هي ميتة
والاشياء ليست بمظاهرها
الحياة حقيقة ، الحياة جدية
والقبر ليس هدفها
أنت تراب والى التراب تعود
لم تقل عن الروح
ليس التمتع ، ولا الحزن
هو طريقنا او نهايتنا المقدرة
بل لنعمل كي يجدنا غداً
كل احد احسن منا اليوم
لا تثق بالمستقبل مهما كان باسماً
دع الماضي يدفن موتاه
اعمل ، اعمل في الحاضر الذي تعيش فيه
مسترشداً بقلبك وبربك
حياة العظماء جميعا تذكرنا
اننا نستطيع ان نسمو بانفسنا
وعندما نموت نترك وراءنا
آثار اقدام على رمال الزمن

لذلك دعنا نكن متيقظين وعاملين
بقلوب مستعدة لمواجهة اي مصير
فلننشط دائماً ولنبدع دوما
ولنتعلم كيف نعمل ، وننتظر !

جورج خوري سمعان

غربة

مهداة الى « توحد » للاستاذ البير اديب
المنشورة في «الاديب» عدد فبراير سنة ١٩٥٠

لم نسر على الطريق
انما الطريق سارت امامنا
وما انتبهنا حتى كانت
على آثار اقدامها آثار اقدامنا
كثيرون هم الذين وقفوا على طريقهم
فمشت بهم :
وكثيرون هم الذين مشت بهم طريقهم فوقفوا
وكثيرون هم الذين ساروا في مسير طريقهم
فضلوا ولم يصلوا ،
وانا اذ ذاك لم اسأل نفسي
كيف انطبعت آثار اقدامي
على الطريق التي لم اسر عليها
وفجأة اراني حيث ما تمنيت ان اكون
فأخدر حاضري بارادة ما كان ،
وفي جفاف قاس ملتهب
اصرخ من اعماقي بغربة نفسي
فيتباعد صدى صراخي
ليعود الي من اعماق الكون
المحصور في وجودي
وفي لحظات متمردة من غربتي
تمسك بي مشيئة قاهرة
بيدين قاسيتين غير منظورتين
ذلك ان يدك التي كانت تقودني
لم تشعر باليد الاخرى
التي كانت تنحرف بي عن طريقي وتبعدني
يدك كانت في يدي وامتدت الى قلبي
وتلك اليد امسكت بقلبي
قبل ان تمتد الى يدي
واذ ذاك اقتادتني
والى سر رهيب من حياتي دفعتني
ومن ثم جذبتني .. والى غربة نفسي القتني
.. وفي غربة نفسي
اصطدمت بسر مهيب من وجودي !
لا تسألي عن ذلك سكينة الليل
فلسكينة الليل حديث عميق حريص !
فيه من كل همسة الف لون
ومن كل اختلاجة الف حس
وعلى بساط نشوته تتمدد اغفاءة سكرى ،
.. لا تسألي سكينة الليل
فانما هي ستار مهيب
مزخرف بالسواد والظلمة
قد حاكته مشيئة جبارة معربدة
ليصون سرها في رهبة وروعة !
وانا على انغام هذه العربدة قد شربت كأسي
وتركت في كأسي ثمالة
وفي الثمالة بقي شيء واحد :
هو انت و« هي » وانا
انت في صورتها وهي في صورتك
لا تدعي يدك تمر على جبيني في حنان
ولا تدخليها الى قلبي في اطمئنان وايمان
فلربما كانت فيه سكينة الليل
.. لربما اندس منه على راحتك
طعم ثمالة كأسي ورائحة غربة نفسي ..

حلب توفيق اليازجي

الامل التائه

كل ما في الوجود يذكرني بها ..
حتى هذه الشمعة الفانية التي تئن في الظلام .. فهذا اللهيب الحار المرتجف كرعشاتها عندما كانت تنتفض بين يدي. وهذا الضياء الساحر الحزين كعينيها عندما ارخت عليها اهدابها ظلالا كالغلالة الشفافة .. واما هذه الاطياف الهائمة التي تبدو وكأنها ترقص على بقايا لحن يتلاشى ببطء حزين .. فكأنها صدى لذكرى بعيدة ارتمت في خاطري ثملة نشوى ..

كنت أهيم كالتائه في صحراء .. واذا بي في فردوس مجهول !! كنت اغالب امواج الحياة .. واذا بي اداعب سوسنة صغيرة وعلى شفتي ابتسامة الطفل . !!

كنت اجاهد لابعد عني املا اصفر واهواء حمراء .. واذا بالفرحة تهتف في اعماقي .. وصيحة الامل البسام تنفلت من بين شفتي .. لقد عاد الى نفسي شيء من امل .. من لهفة .. من رجاء .. اما الآن فلم يبق سوى حنين جارف الى ،

زهرة في فردوس مسحور !! الى .. سوسنة طافية فوق امواج جدول لعوب ، الى امل تائه بين طيات المجهول البعيد .

فبين خبايا الماضي اهيم باحثاً عن طيف شارد .. وبين بقايا الرماد الفاني رحت أبحث عن قبس مشع علّه يضيء لي من جديد هذا المجهول البعيد الذي اودعته اوهامي .. وآمالي وكأن بيده اكليل الغار او المصباح الهادي .

كنت انظر الى الافق البعيد كالحالم .. او كالذي افتقد شيئا من دمه .. من روحه .. من احلامه .

كنت اغرق ناظري في زرقة السماء وكأني انتظر ومض الالهام العالي .. فبين النجوم تاه مني قبس مضيء .. وبين طيات الافق غاب عني طيف حبيب .. لعله يعود .. ولكن ... ها هو الاكليل يطل من فوق جبيني ، لكنه من شوك .

وها هو نور المصباح يلمع من بعيد
ولكن .. كانتفاضات الشمعة في لحظاتها
الاخيرة .. وهكذا عدت الى الصحراء
اهيم كالتـائه .. وبنفسي اهواء حمراء
تئن في صمت وسكون ؟؟

دمشق — ربيع الصلح

حلم ونغم

امل كان ذاك ..
الذي تراءى لي .. وتلاشى
هناك بعيداً في متاهات سحيقة
يجر فوقها الزمن اقدامه المتعفنة من القدم
وتتمزق في اماد متلونة كالاحلام
وفي جناح ناعم .
كالحنان في قلب الام
وكالغبطة في قلب الطفل
وكالطهر في قلب العذراء
حومت بي آمال حالمة ..
وعلى ضوء الغبش الباهت الاسمر
كنت اطوف ..
وحين غشى الصمت .. آفاق الروح
كانت اليقظة الآثمة تتململ في اجفاني ..
فيتهاوى الجناح .. وتتلاشى الآفاق
واذا بي انفجر مذعوراً ..
على صدى الصرخات الطائشة .

بغداد — انغام بلال

افق

مهداة الى اخي الاستاذ رياض طه

ذوائب زنجية متراقصة ،
فوق جبين الافق المكفهر
وغدائر مدلهمة ثائرة .
محمومة النواصي ، ومشعثة التلاليب ،
يتلاعب باشرعتها شيطان الريح
المعربد .. الخبيث .
.. تناثرت مدراراً ،
عناقيد الطيب ، من مفارق الاجنحة ،
وانفرطت حباتها المزركشة .
وراء جدائلها ، المضمخة بالطيوب والعنبر
سرحت بصري .. الجشع .. النهم
لمراتع الضياء .. البعيدة !
وتألق نور ارجواني ، من مطاوي الجناح ،
بين ادغال الريش الكثة ،
وتهادى الزغب بين البطاح ،
يودع منابت الليل ، ويلوح بعكاكيز اجنحته
الى دجنة السيل العرم !
.. واتقشع السواد الزنجي
ولمع برق خلب ،
وتفتحت مخابىء الضياء ، في سفح ..
اقواس ارجوانية
فتلاشى الليل . ولكن الى أين ؟!
لست ادري !! ..

السليمية ـ سوريا — سليمان عواد

الفتيات الثلاث

مهداة الى الشاعر انعام الجندي

ثلاث فتيات صغار
افترسهن الذئب الغادر
عندما كن في « ممباسا »
يفتشن عن امهاتهن .
قالت الاولى خائفة :
لم تعد تلذ لي الحياة
لفقدها يا اختاه
وبفقدها ادلهمت الدنيا .
ويلاه من جيراني النجوم
عندما يعلمن بموتها ،
ويعرفن انني افترستها ..
قالت الثانية مذعورة :
لم اكن ارهب احداً
يوم كانت الدنيا طوع امري
والجبابرة تخشى نقمتي .
ولكني الآن يا اختاه
اخاف من هذا البركان
الذي يقذف الحمم
فقد عرف بمصير ابنتي
وعرف انني اكلتها ..
قالت الثالثة باكية
لشد ما تؤلمني نكبتي
لقد كرهني قلبي المسكين
عندما حقدت على الطبيعة
لاني اغتلت ابنتي .
ولكني بريئة يا اختاه
فما الجاني عليها الا فضيلتي
لقد جاعت نفسي فالتهمتها
ثلاث فتيات صغار
افترسهن الذئب الغادر
عندما كن في « ممباسا »
يفتشن عن امهاتهن .

باريس — يوسف رضا

عذراء وشاعر

ايها الغريب .. لا تغن ..
اغنياتك الشاكية الحزينة
ودع الليل مسدلا ستاره
على احلامي واوهامي ..
ولا تسمعني لحن الغاب
في نغم شارد مسكر ..
ولا تحرق قلبك بخوراً .. امام محرابي
ولا تنصت لانغام تراتيلي ..
هنا .. ذكرى قلب احترق ..
وانفاس عذراء
ذاقت السعادة ثم افتقدتها
فدع النار تحت الرماد
ودعني وحدي اهيم في دنياي
وعندما تغفو الجفون
لا ترسل الالحان نشوى ..
تفيض صبابة وتحنانا ..

فلن اشعل لك من لهبي نارا
ولن اهبك قلبي لان قلبي كسير
فسر في طريقك .. واذهب بعيدا ..
ودع راهب الظلام في عبادته وصلواته..
اقامه شجونه واحزانه ..
يا لقلبك المعذب ويا للحن الغاب ..
انفاسك تحترق .. وفي عينيك دمعة الالم..
كفى .. كفى دموعاً وزفرات
لقد ثار النسيم وبكى ..
والليل يرتل اغانيه ..
ومحرابي .. تهيم به الارواح حائرة ..
ايها الغريب .. لا تبك ..
فقد بكت الزهرة الذابلة بدمع الندى ..
وبكى القلب الكسير .. بما سال من دمه..
واستحال مع الايام .. في الجوانح ذكرى..
فلا تغن .. اغنياتك الشاكية الحزينة ..
ودع الليل مسدلا ستاره
على احلامي واوهامي ..
ودع روحك الحائرة ..
تهيم في عالمها .. وسر في طريقك ..
واذهب بعيداً .. ودعني وحدي
اهيم في دنياي .. واتعبد في محرابي .

مصر - دمنهور **عبد الرازق القاضي**

احلام الحب

للشاعر روبرت بروك

واحر قلبي من يوم حي !
اغمض عينيك ؟ واهدهد حاجبيك
واثني يديك الدقيقتين
وفي نور عينيك ظلال تموت !
حملتك هشة ناعمة الى الرمال البيضاء
والقارب ينتظرك مكللا باكاليل البحر .
ضباب واعشاب !
سوف تهبطين في معزل عن النوم
والامل في الحياة
وعلى ثبج البحر الصامت ستهفو بك
الامواج الرقيقة بعيداً عنا ؟
ونحن كمن في الغاشية نرفع الايدي وابصارنا
تنداح على الشعاع الراحل والرمال الناصعة !
الشفق الاحمر بارداً اكبر من سخرية الاقدار
والدمع اكبر من حلم ! !
لن يوجد مرفأ .. ولا جزائر من نور !
الا الظلمه المجدبة .. وفي الاعماق
تحتدم نيران !
وانت هناك وحيدة في منفى القبل والصحاب
والطريق يتنزى بالالم الاحمر !
ولسنا عندك لنبكي !
كنت هانئة والازهار تتوجك !
نقية طاهرة كطفل ! والعهود نضيرة راقصة !
وربى الحب تزهر في مطلع الفجر !!
والآن خبا كل شيء ! ..
الرمال الدامسة تنبسط امامي !
ومن المروج البعيدة تهوم انفاس
حزيران بالاريج اللذيذ !
تجرجر في الظلام .. وتفعم
اديم البحر بالاوهام !
والصمت المطبق يترع الربى والشعاب !
وفي الاعشاش تغط اجنحة
الضنى في اغفاءة لذيذة !
واصوات الهناء تصمت ابنها الحبيبة !
تحول الدفة ! ونغادر المكان وحدنا !
والذكرى تعصف بنا ..
فواحر قلبي من يوم حي !

غزة **عبد المنعم العالم**

النداء

للشاعر الالماني هرم هيس

نحن لا نزال تائهين على الدروب
دروب نار محرقة ..
جراحنا لا تزال تسيل
لا نجد لنا موطنا في مكان
نرحل على دروب معادية
بعيون ملؤها دموع وشقاء
نفتش عن وطن احلامنا
ولكن هنالك بعيداً هي عبر الاحلام
ابدا نفتش قلوب الرجال
خلال هذا العالم الموهم
انوار الحب الواعي كانت تنير ليالينا
فراشة زرقاء صغيرة حائمة
محمولة على اكف الرياح
كجوهرة عقد رائع
لماعة، مشرقة، لا تلبث ان تذبل في الغيب
لثوان رايت السعادة
وكيف تتوهج . وتشرق . ثم تزول .

حلب **محمد الحديدي**

متى يا الهي

متى تنقذ الشعوب ؟ يا اله الرحمة، متى؟.
ليس الملوك، ولا الامراء، بل الامم..
ليست العروش، ولا التيجان، بل الشعوب.
انها يا الهي .! زهرات من قلبك ،
فلا تدعها تنطوي هباء .. كالحشرات ..
الشعوب يا الهي ! التي لا يعدو ميراثها .
نهاراً ، غائماً ، مظلماً ، ابداً ..
وهل الجريمة تأتي بجريمة ،
والقوة تؤيد القوى دوماً .
وهل هي مشيئتك ، يا الهي !
ان تبقى الانسانية
في عناء الظلم ، وشقاء الطغيان . ؟!
اصرخي يا جبال . لا، ويا سماء استنكري .!
ان شمس الانسانية المتسربلة الآن بالغيوم ،
ستبزغ ساطعة وهاجة ، فتصعد الاناشيد
العذبة ، بدل الزفرات، والانات الحرى.
متى ستنقذ الشعوب! . يا اله الرحمة . متى؟
الشعوب .. يا الهي ! .. الشعوب ..
ليست العروش، ولا التيجان، بل الامم.
الهي ! انت بارئها .. ومنقذها ..
ارفعها .. من الرذيلة .. من الطغيان الجاثم،
من اليأس القاتل .. الهي انقذ الشعوب . ؟!

عمان عن الانجليزية **يوسف بوراك**

صورة وصفية

المسز ادامز

بقلم وديع فلسطين

يذكرك الله بالخير اينما كنت وحيثما وجدت، فأنت مباركة بين النساء، مغبوطة بين رصيفات جنسك، لانك عشت انسانية الروح وعملت على اشاعة تلك الروح عينها بين جميع من على دارتك يترددون.

كنا لا نزال في المعهد الجامعي، حين تلقينا دعوة كريمة من «المسز ادامز» لتناول الشاي في دارها. وللشاي عندنا جاذبية خاصة، ففي الصباح يباكرنا، وفي الرابعة بعد الظهر يواتينا وفي الثامنة ليلا يوافينا، وهو في كل مرة مثقل باطايب من الشطائر والفطائر ليت المعدة تقوى على التهامها.

جاءت الدعوة، وكانت رقيقة كصاحبتها، وكان ملبوها طائفة من ابناء جيل واحد، وثقافة واحدة، ومستوى فكري واحد، وسن واحدة، وانتثر المدعوون حول مائدة مستديرة يمكن زيادة رقعتها اتساعاً، وزيادتها ضيقاً وفقاً لمقتضيات الحال. وجلسنا تتصدر المائدة المسز أدامز، وينتثر الزملاء والخلان حولها يجالس كل منهم رفيقة وزميلة.

وحسونا الشاي، وتحدثنا طويلا، في المجتمع وعيوب المجتمع، وفي الاسرة ومقومات الاسرة، وفي الحب ولواعج الحب، وفي السياسة وادران السياسة، في الادب ومجالي الادب، وفي شؤون الطلاب وما اكثر تفاهتها. وكان حديثاً مستطاباً عذباً، لان المسز ادامز عرفت كيف تدير اقداح هذا الشراب علينا واحداً واحداً، فلا تدع احداً صامتاً او متلعثماً او متحرجاً، بل تنتظم الجميع في حبل واحد وتشملهم جميعاً بعاطفة شريفة، وهل ثمة عاطفة اشرف من الامومة. وكانت تحبونا جميعاً بسابغ من العطف وسخي من التقدير، فنحن جميعاً ابناؤها، ونحن جميعاً احباؤها، ونحن جميعاً اثيرون عندها، ونحن جميعاً في ذاكرتها، ونحن جميعاً بغير نقيصة او عيب.

ولم تكن المسز أدامز تحرص على شيء حرصها على موعد الشاي. فهو في العاشرة حتم، وهو في الرابعة ضرورة، وهو في كل وقت من اويقات الليل المبكر مطلوب منشود. وكنا لذلك نتردد على دارها مرات ومرات في كل اسبوع، نشرب الشاي، ونشرب معه عذب الحديث ونأنس منها بالخلق الرضي الكامل ونقضي معها سويعات حول المدفأة او حول المائدة المستديرة تغمرنا فيها روح البشر والتفاؤل، وتهجرنا هموم الدنيا من محاضرات وواجبات وامتحانات وغيرها مما يشغل ذهن الطالب.

وظللنا نتردد على المسز أدامز في كل يومين او ثلاثة، فلا نجدها الا مفتوحة القلب مفتوحة البيت، تضحك دائماً وتبشر دائماً، لا تعبس حتى وان امضها ضيق، ولا تضيق بالزائرين مهما كثر عددهم. فهي سيدة جليلة تعيش للاصدقاء، والجميع اصدقاؤها، وتتقصى احوالهم واحداً واحداً، فتعرف ايهم يعاني من ضيق عائلي، وايهم يكربه عجز مالي، وايهم تستبد به نوازع ملتوية، وأيهم يرزح تحت عبء عاطفي، فكانت المسز ادامز تقدم لكل منا الرأي والمشورة خالصين، ويسعدها ان تضع نفسها في موضع كل منا، ويسعدها فضلا عن ذلك ان تتلمس سبل تبديد ظلمات الشك والريبة.

مشكلات القلب، لم يكن يقوى على حلها احد كما كانت المسز أدامز.

وعقبات الدرس، لم يذللها العقاب والوعيد، بل ذللتها المسز ادامز بعاطفتها الكريمة واهتمامها الدائب.

وروح الخجل التي كانت تصحب عهد البلوغ، لم نجد من يمحو آثارها خيراً من المسز ادامز التي كانت تتعهد كلا منا فتقوم فيه اعوجاجه، وتعرفه المجتمع ومقتضياته وآداب السلوك وآداب التحية وآداب المائدة. كانت تعرف ان الانسان اذا ترك على الفطرة، غوى، واذا سار بغير تهذيب، شت وضل، واذا غفلت عنه عين الرعاية غدا نهباً للمغريات، ولذلك اخذت المسز ادامز على عاتقها ان تكون للطلاب جميعاً

اما بل اختاً شقيقة،لا ترجو الا صلاحاً، ولا تنشد الا اسعاداً الجميع، ولا تتطلع الا الى رؤية الناس جميعاً في غمرة من الغبطة المترعة .

وكنا لذلك ندخل دار المسز آدامز، كأننا الى ديارنا داخلون ، وكنا نقصدها كلما استعصى علينا امر ، وكنا نحج اليها اذا اردنا القربى من « باعثة السعادة في النفوس »وكنا نجد في المسز ادامز كل طلبتنا . وكثيراً ما فوتنا المحاضرات ، لنأنس بصحبة المسز ادامز حول مائدتها المستديرة الخالدة،وكثيراً ما دق الناقوس منذراً ثم مستبطئاً بغير ان نجيب نداء، لاننا حول مائدة المسز ادامز . ولست اغالي اذا قلت ان ما علمتنا اياه المسز ادامز من فنون الحياة ومقومات الجماعة العاملة،لم نتعلم مثله في الجامعات والمعاهد، ولم نتعلم مثله في الحياة التي تعمر بكل كريهة من الخصال .

وللمسز ادامز فلسفه في الحياة تقوم على اعتبارين : اولهما ان السعادة هي الغاية الاولى للانسانية جمعاء ولا بد من كفالتها للجميع .وثانيهما ان عنصر المباراة في الحياة يجب ان ينقلب الى عنصر تعاون ومؤازرة .

وهي لذلك كانت تأبى ان تنظف صحاف المائدة بنفسها ، لانها لو فعلت ذلك لحرمت خادماً من اجر يتقاضاه لاداء هذا العمل .

وهي لذلك تتأخر الصفوف في المنتديات والحفلات حتى لا تكون من المتسابقين او المتقدمين الذين يطلبون لانفسهم كل شيء،ويدعون لغيرهم الخواء.

وهي اول المساهمين في كل مشروع للبر او للخير . ففي جمعيات الثقافة تجد المسز أدامز ، وفي اسواق الخير، تساهم المسز ادامز. وفي حفلات الاغاثة تتطوع المسز ادامز . وفي ندوات تربية الفتاة تعمل المسز ادامز . لان اصلاح الحياة ضرورة ، وخدمة الآخرين واجبة ، ولان المقتدرين اولى من سواهم في تقدم صفوف الخدمة والعمل والبذل. ولم يكن للمادة سيطرة ما على تفكير المسز ادامز، فهي لا تعرف القروش ولا الدولارات ولا تعامل الناس قدر جيوبهم، بل تعاملهم كمجموعة اخاء عالمية لا تفرق بين اثنين لسبب من الاسباب، فكأنها ارست في دارها دعائم ميثاق حقوق الانسان ،قبل ان تتنادى به الدول وتدعو الشعوب الى امضائه . ففي بيت المسز ادامز رفرفت السعادة باجنحتها واظلت الدار وساكنيها وشملت المترددين والمقيمين ، فن دارها اخذنا الحكمة ، ومنها عرفنا النزعة الانسانية الصافية ، وفيها ادركنا قيمة « الكلمة »، فان عذبت الكلمة،اسرت الناس ، وان اتسمت الكلمة بالمرارة اثارت الحقد والموجدة .

عند المسز ادامز احتكمنا في مخاصماتنا،فكانت قاضياً من نوع لا يبارى. فهي لا تنصر واحداً وتدين آخر ، ولا تبرىء زميلا وتلقى الملامة على زميله، بل تتسامى بفكرها وبأفكار ابنائها حتى تصرفهم عن موضوع المخاصمة، فلا يعود للقضاء جدوى .

وعند المسز ادامز عرفنا قيمة المجتمع لا من حيث انه سهر وبطر ، او انه طعام وشراب ولذاذات ، بل من حيث انه اسرة يتداعى بنيانها اذا مادت دعامة من دعائمها ، وينهار كيانها اذا دب فيها دبيب اثم .

عند المسز أدامز ، لاكت السنتنا مذاهب الفلاسفة النظريين جميعاً .سقراط وافلاطون وارسطو وديكارت وشوبنهاور وسبنسر وكانت ولخته وبيكون ورسل وغيرهم، ولكن فلسفاتهم جميعاً تضاءلت امام الفلسفة الانسانية البسيطة — بل الساذجة — التي علمتنا اياها المسز ادامز.

عند المسز ادامز ذهبنا صغار النفوس ومن لدنها خرجنا كبارها .

انها امنا ، واختنا ، وزميلتنا.دارها في وسط معهدنا ، وقلبها يعيش معنا وتفكيرها الينا متجه،وقلوبنا بها تحيط .

ولكن اين المسز أدامز اليوم ؟

لقد رحلت فجاءة بعدما امتحنها الدهر في زوجها النبيل الكريم المستشرق المعروف تشارلس ادامز ، وانقطعت عنا انباؤها .

ولكن ذكراها ما انقطعت،ومكانها لم يخل من قلوبنا . وصدق خليل مطران حين قال :

مكانك لا يخلو وان غيره خلا
وما انت من يعلى اذا صاحب سلا

القاهرة **وديع فلسطين**

ليل شاعر

☆

يا ليل قلبي ساهر يرعى النجوم الزواهر
يستنطق الصمت الرهيب وظلمة تذكي المشاعر
ما ان يوافي الشعر حتى يسدن الليل الستائر
والكون يغرق في السكون كأنه دنيا مقابر
فيجيش قلبي بالقصيد وانه نفثات ساحر
ويقول ، حدث يا ظلام فانني واع وذاكر
واتل الحقيقة كلها من عهد آدم .. لا تحاذر
فلئن عييت عن الكلام ففيك هدى للبصائر
الروح عطشى فاروها والعقل مثل الطرف حائر !

•

يا ليل هذا الدهر يبطش بالاحبة بطش قادر
اتراه يبقى سادراً في غيه وتظل ساتر
واخو التقى سهران فيك يرتل الآيات شاكر
يبكي بدمع القلب لما جف دمع في النواظر
وكذاك تطوى في ظلامك كل فاجرة وفاجر !
جمعت بينهم .. اتلك سجية ام غدر غادر ؟

•

يا ليل هذي أنة الثكلى وزغردة البشائر
كلتاهما في مسمعيك ؟ ام انت للثنتين ناكر
سيان عندك مأتم في الحي او عرس وسامر
يا ليل سرك باطن فعلام لا ترضاه ظاهر
حارت عقول الناس فيك وحار فيك اليوم شاعر !

رشاد بيو



لمشية الخضراء

☆

خطوك الطفل انعطاف وتمن
كلما رف جناحاك على الريح تغني
معزف عربد في وعر على غمزة دن

•

ما الذي اوحى الى مشيك شعرا
وعلى اعطافك الخضراء خمرا
كل ذيل يلثغ الموعد بشرى

•

وحكايات على دربك من حلو التثني
مغنية من جدول سقسق في نضرة لحن
رنت الارض عيوناً والسما لهفة اذن

•

ما الذي اوحى الينابيع بان تسكب شعرك
والبحيرات اليتامى رفهت في اللحظ سحرك
وملاك زنبقي الريش هل دغدغ صدرك ؟

•

عنبري غمس الشمس حفل
يا لروحي لهثة تزرع مغداك قبل
ابداً في بحة الحرمان او همس الامل

•

والضحى واللحن والخمر واطياف السماء
شربت لمحتك الخضرا انهارا بالدعاء
افتدري ؟ ما الذي يدري الضحى شكوى المساء ؟

باريس

علي محمد شلق

الهذيان

قصة

من ايام الرعب

مهداة الى الاستاذ محمد عيتاني

بقلم يوسف الشاروني

نجوى هو اسم الفتاة التي احبها ، وديعة وجبانة ، مثقفة ولا لباقة في تصرفها،وذات جسد جميل.وانا اعرف انني انسان ملعون ، فقد شاهدت اهلها ذات يوم وقد صبغوا وجوههم بالنيلة وهم يلطمون.وانا في حاجة الى خمسة مناديل وجوربين ومجموعة محاورات افلاطون.وهذه موسيقى شهرزاد لريمسكي كورساكوف لا تزال في نفسي اصداؤها . فقد كان يحكى ان ملكاً اسمه شهريار وجد امرأته ذات يوم تخونه مع عبد اسود فقتلها ، وجعل يتزوج كل ليلة بامرأة وفي الصباح يقتلها.

...ووضعت امه الضمادات المثلجة فوق جبهته ، و بذل جهداً هائلا كي يعود الى الواقع ، كي يتشبث بأطر الصور الموضوعة على الجدران وفوق الرفوف فلا تعود الوانها تتمايل.وحاول ان يحتفظ اكبر وقت ممكن بالمعالم الدقيقة لوجه امه... حتى استطاع لحظة ان يعي بشعرها الابيض المحلول وبالدموع التي اغرورقت بها عيناها وبالضوء ثم احس اشياء هائلة تتحطم فوق ظهره ، واضواء تبرق وتتلاشى في الظلمة المفزعة ، وهذا الضجيج العريض يرتفع من اسفل حيث اصوات المدينة الصاخبة تستحيل الى عواء.

وعاودته النوبة من جديد ، وسرت في جسده موجة من الحرارة والقشعريرة ، فاحس بحاجته الى التقيؤ بغير ان يتقيأ ، وكأنما هنالك قوى شيطانية تنبعث من اعماق الجحيم تجذبه من العالم الخارجي حيث المدركات ثابتة وواضحة ومنتظمة الى ضجيج داخلي فظيع لا يمكن تحديد مصدره في دقة.

وامتلأت الغرفة امامه بالبطيخ ، من الارض حتى السقف ، حتى كادت انفاسه تختنق.وكان البطيخ يزدحم في الركن الشمالي من الغرفة ثم يتفرق في خطوط مستقيمة واخرى منحنية.ثم اخذ البطيخ يتدحرج في سرعة جنونية واشتبك في معركة مخيفة. ووقف مذعوراً يركل غطاءه ويرتعش.واقتربت منه امه العجوز واحتضنته قائلة : مم تخاف يا ابني ؟ انا امك بجانبك. وظل متشبثاً بها ، وهو يحدق في البطيخ الذي يملأ كل مكان ويتدحرج الآن في تباطؤ وتلكؤ...حتى خارت قواه ، فعاد من جديد الى الظلمة الهائلة والدوي العريض.

وكانت رأسه تكاد تنفجر ، وخشي لحظة ان يصبح مجنوناً ، ان يدخل هذا العالم المزدحم بالبطيخ المتدحرج فلا يعود .. وصرخ ، وقام من جديد يركل غطاءه وهو يتوجه نحو النافذة صائحاً : اضيئوا الانوار !

ومن قبل كان قد راقب بنيلوب وقتاً طويلا وهي تتغلل بمغزلها الذي لا ينتهي لانها كانت تنقض في الليل ما تفعله في النهار ، وشاهد بياتريس وهي تستقبل دانتي صاعداً من جحيمه بعدما عبر المطهر مع فرجيل ثم تقوده خلال السموات التسع حيث اعشى بصره نور الله فعجز ان ينظر الا في عينيها،وعرف جان ديفال وهي تعذب بودلير عذابات سوداء لا نهاية لها.. وكان الآن قد جاء دوره هو ، بطل مجهول بين ملايين الابطال الذين يتعذبون في صمت،وليس لديه شاعر يذيع بطولته في انحاء الارض.

وكان قد جاب انحاء الارض ، زار ايطاليا حيث تعرف بجرازيلا وقضى معها وقتاً طيباً ، ثم مر بروما وشهد لوحة العشاء الاخير،وزار المانيا حيث نزل ضيفاً على هنري ومعشوقته مرجريت ومر ببرلين ووقف وجهاً لوجه امام نفرتيتي ، وبعد الحرب الاخيرة زار باريس وشاهد لوحات سيزان ولوحات بيكاسو الاخيرة وفي دار الاوبرا رأى كاليجولا يتصارع مع حريته، ثم زار موسكو حيث شهد تمثال لينين والنظام الحضاري الجديد ، وعرج على جنوب الهند،وعاد اخيراً من نيويورك حيث صعد في ناطحات السحاب وجاب الاحياء الخلفية المظلمة الرطبة . ثم صاح مرة اخرى : اضيئوا الانوار !

ذلك ان الغرفة في ذلك الوقت كانت قد ازدحمت بنساء متكورات كالبطيخ ، وكانت النساء البطيخ متلفعات بالسواد ويجلسن طبقات بعضهن فوق بعض ، من الارض حتى السقف، وهن يتثاءبن ويتنهدن كانما انتهين لتوهن من مناحة كن يعددن ويولولن فيها ، وزعق فيهم عسى ان يجفلن او يختفين فلم يزددن الا تعباً وتراخياً . وود لو يهرب منهن ، فقام يحاول ان يشق طريقه متجها نحو الباب .

وكان الباب مغلقاً، ورأى الطبيب يدخل من خلاله، ثم جسه وخرج ، واختفت في اثره النساء البطيخ . ورأى من النافذة قبة السماء الداكنة الزرقاء وتلتمع فيها النجوم،فأدرك ان الليل هبط.وسمعهم في الخارج يتهامسون ، وحدس انهم يعدون له نعشا ، صندوقا طويلا له احرف مذهبه وفوقه زهور صناعية بيضاء.. هناك حيث تربض نهاية العالم.

وشيئاً فشيئاً اخذت تستيقظ امامه معالم الغرفة: راى اولا زجاجات الدواء القاتمة موضوعة على اسفل الرفوف من الجهة الشمالية، ثم شاهد بلاط الغرفة وفي وسطه بقعة كبيرة حمراء كالدم، ولمح مقعداً خالياً، وبقعا مبعثرة سوداء في اعلا الجدار امامه، ومنشفة بيضاء ملقاة على الارض، وطنين حشرة لا يعرف مصدره.. ثم اهتزت الصدر والجدران، والمقعد والرفوف، والنافذة والباب، والارض والسقف، واحس آلاما جبارة كانه امرأة تعاني المخاض، ثم نضح العرق غزيراً من جبهته ومن كل جسده، وعاد كل شيء يستقر.

وكان قد قرأ عن الراقصات المقدسات في معبد اناتيس وفي معبد افروديت بشبه جزيرة كورنث حيث يهبن انفسهن في الاعياد نيابة عن بنات جنسهن. كان ينشد نبية مضت تحرر جنسها وتحمل لهن الخلاص من الموت الذي يتربص في كل لحظة بهن، مثلما فعلت شهرزاد لبنات جنسها فأصبحت بحق نبية الاساطير في الشرق. وفي سن التاسعة عشرة عثر في زاوية صغيرة على امرأة صغيرة.

وكانت نجوى تجوب طرقات القاهرة تبحث عن نبي بين الرجال، عن الفارس الذي سيهدىء من ثورة العالم مستلها من صدرها الحنون. ففي ذلك الوقت ـ كما في ايامنا ـ كان الحب والكره يتقاتلان في صدور الرجال والنساء وفي المصانع والميادين وفي كل انحاء العالم. فاقترب منها وسألها عمن تبحث، ورأت في وجهه ما يشبه شفتي نبي، وحدثها عما اذا كانت تعرف الطريق الى الراقصة المقدسة في هذا المكان من الارض، وجعل يصفها لها كأنما رآها من قبل، حتى تبلورت الفكرة في جسدها فسالته عما اذا كانت هي لا تشبهها في شيء. اما هو فكان قد قتل روح النبوة في نفسه، فقد روح النبوة التي استلهمها ذات يوم من هاملت ودون كيشوت، ومات من اذنيه تصفيق الجماهير وضرب على نفسه حصارا حتى لم يعد يستطيع الوقوف على قدميه ولا الجلوس.. ورقصت امامه نجوى، احياناً في الظلام واحياناً على ضوء احمر بهيمي، حتى اخذت تسري اليها عداوه.

ولقد تكشفت نفسه شيئاً فشيئاً امام نجوى، وتركته يكشف عنها شيئاً فشيئاً، وارتعش وارتعشت، واستاءت منه فاستاء منها، ثم ضمتها قبلة طبعتها الشفاه القرمزية، ورأتها العيون النجل في الليالي السود، وامسى الجسد الانساني البكر للجسد الانساني البكر وسيلة عظمى من وسائل المعرفة، وفاحت رائحة العسل، وتقطر الندى من السماوات المزدحمة بنساء كالشجر

وكانما كان جسده يحترق في أتون. وارتفع ضجيج المدينة وصوت مصانعها الحية النابضة. ولمح وجهاً ميتا، ورأى اسنانها بيضاء بارزة بين شفتيها الصفراوين، وتكشفت له جبال الألب عن ثلوجها، ورأى الجن تعقد عيدها السنوي فوق قمة جبل بروكن، وتدحرج البطيخ من جديد، وفتح عينيه يحملق باحثاً عن المرئيات الواضحة المتميزة حيث للاشياء حدود لا تتعداها، وهاربا من زحمة الماضي والعالم الداخلي المتضخم في حرية خطرة.

ومنذ ثلاثة ايام، وفي الحديقة المظلمة الخلفية، ووراء شجيرة الجميز الكبيرة، غمس خنجره في دمها ثم في ذمه، وكان يمكنه ان يستخدم وسيلة اخرى، غير انه احب ان يرى قطرات الدم تقطر منها ومنه كأنما انبعثت فيه همجية العصور جميعها وقداساتها وعندما اقبل القوم في الصباح غمغموا قائلين: حبيبان منتحران. وكانت هي قد ماتت وتركته طريحاً على الحشائش يشاهد اهلها وقد صبغوا وجوههم بالنيلة وهم يلطمون ثم غاب في فراغ لا يسمع فيه وطء قدميه.

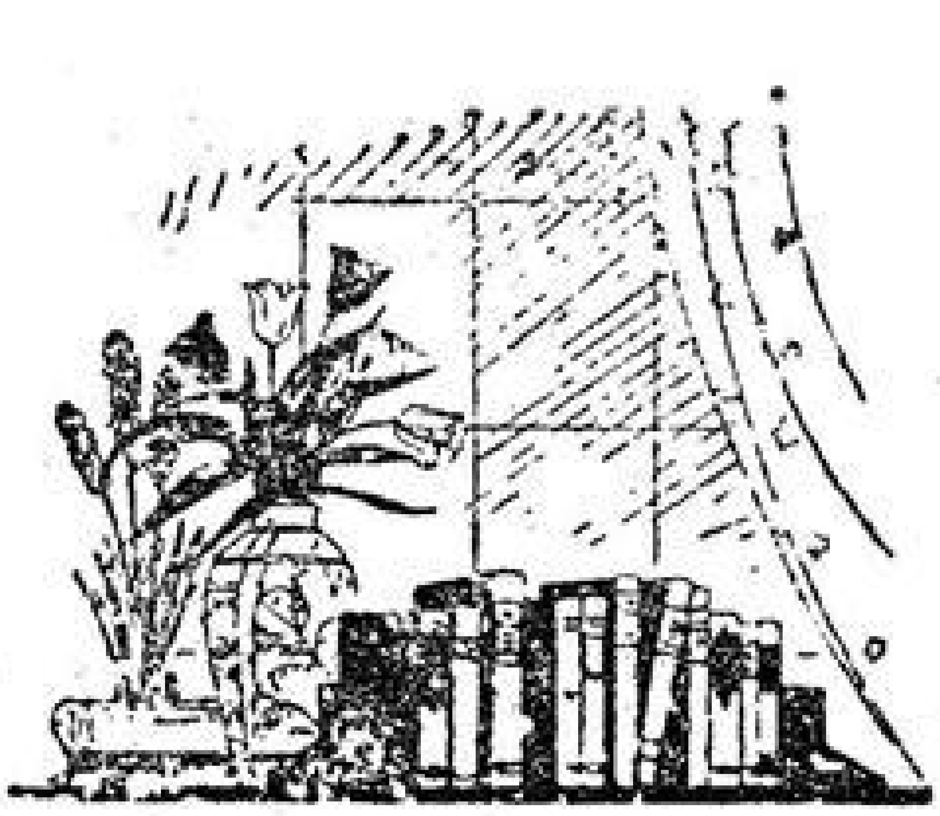
ذلك انها ذات يوم في الخريف، حين بلغ الحادية والعشرين تشاجرا، واهانها، وقبلته ثم هربت منه. ومنذ اسبوع واحد شاهدها تعود. فانتابه فرح شيطاني، لانها لا شك الآن قد عرفت كل موطن في جسد الرجل، وخبرت كل احساس نسائي، واعطت للرجل كل ضرب من ضروب اللذه وما يشتهيه، واعدت نفسها للرسالة التي حدثها عنها ذات يوم. فلما اقبلت قصت عليه كيف حملت منه، ولم تستطع ان تجابه الناس بعارها فهربت والقت بولدها في اليم، مما ذكره بما فعلته مرجريت معشوقة هنري ذات يوم.

اذ ذاك ادرك انها لم تستطع ان تجعل منه تلميذاً، فليست لديها اصالة النبوة، ولا تزال تحلم بنبي بين الرجال، وهذا امر قد اصبح مستبعداً ولا ضرورة منه، فالنساء كن الجنس المستعبد في تلك الايام ومنهن ستنبثق روح الثورة والالهام. فاحس خيبة هائلة، وتقاتل الحب والكره في اعصابه ودمه، وقرر ان يرضيهما معاً، فعاقبها ثم عاقب نفسه على ما فعل.

ولقد مر عليه ثلاثة عند الفجر، وكان هؤلاء هم اصدقاؤه، احدهم طالب طب والآخر بائع اللبن، وربما كان ميفوستوفيلوس ثالثهم. فوجدوا امه تقول ـ والدموع تنهمر من عينيها ـ انه فقد صلته بالعالم الخارجي منذ الليل.

وكان يهدد المدينة في ذلك الوقت فيضان كبير من ناحيتها الغربية، فظل العمال ساهرين طوال الليل يقيمون الجسور على طول الشاطىء ويراقبون مواطن الضعف لئلا تتدفق منها المياه. وكانت الجزيرة المقابلة في النيل قد غرقت فنزل ملاحوها يخوضون

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير (كانون الثاني)
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي

الاشتراك العادى :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات فى الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا
او ٦٠ دولارا كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

☆

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ ـ ٩٢ / المنزل : ٣٧ ـ ٤٨ }
Tél. { Direct. : 92 - 47 / Dcle : 48 - 37 }

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

ويجمعون بقايا حصادهم الاخير ، بينما تسرب الماء الى احدى القرى الجنوبية فتزاحم عليها البعوض والهوام .

ولمح الباب المغلق، حيث يعتقد ان طريقه الى الحرية هناك، فود لو يختم حياته بعمل عظيم : لن يتخلص من هذه الجدران الاربعة ومن رائحة العرق، وينطلق الى الخارج باحثاً عن خطر جديد... حين لمح المقعد الخالي ، فحدس انها ستقبل هنا بعد دقائق ، وتجلس على هذا المقعد في ثوب عرسها الابيض الشفاف ثم تقوده خلال السموات التسع. وكان يحسب انه قد نسي، غير انه ادرك اخيراً ان الملك شهريار كان يذكر زوجه الاولى الخائنة في كل مرة يقتل فيها امرأة جديدة.

وشم رائحة نتنة ، وخيل اليه ان الجرح الذي في جسده ولا يراه قد ازدحم الآن بالدود ، فقد احس به يرعى في طمأنينة وبلا عجلة. وانزعج ان يرى نفسه يتعفن ولما يزل به رمق من الحياة. ومد يده في خفة وحذر يتلمس موضع الجرح ، لكن يده ضلت طريقها ولم تستطع العثور ابداً عليه، غير انه كان واثقاً ان النار والدود يرعيان الآن فيه، وانه يمتد شيئاً فشيئاً ويزحف على بقية الجسد . وتعالى من حوله ضجيج حاول ان يعرف اين هو منه ، فرأى آلهة الاولمب يقيمون حفلا صاخباً فوق قمة جبل البرناس ، وكانت هناك هيلانة وباريس وبرسيفون ومانتو ابنة اسكيلاب اله الطب وهي تطمئنه قائلة : انني احب من يطلب المستحيل .

وكانت انفاسه الآن تحترق ، واحس ان الدم ينزف منه بغزارة ، ومن قبل كان قد صارع كل لذة وكل ألم ، وعرف دفء المرأة وشراستها ، وضعفه هو وقوته. وبلغ اليوم سن الرجولة والنضج بعد ما تزود بتراث العالم وحضاراته ، وخبر الناس ومعاملاتهم ، وتجاذبه الحلم والواقع .. وكانت الظلمة التي تحجب كل شيء امام عينيه لا تزال تفزعه ، فغمغم في صوت خفيض متعب : اين الانوار ؟

ورأى طفلا ـ ربما كان طفله الذي لم يره ولن يراه ـ ذهبي الشعر ازرق العينين قاتم الاهداب كأنه حلم عذراء شرقية ليلة زفافها ، يقف وسط الغرفة وفوق بقعة الدم العظيمة ، ويمسك بوقاً فضياً كبيراً بين يديه ثم ينفخ فيه كأنما يدعو الآلهة والجن الى احتفال عظيم ولا صوت يخرج، غير ان الغرفة تمتلىء بالهواء، وتمتلىء وتمتلىء حتى لا تقوى حيطانها على الصمود ، فتتناثر اجزاؤها وتهوي في الفراغ .

في هذه اللحظة اقبلت امه تداعب شعره وتقول : لا شك انك تحسنت الآن . ففتح عينيه ورآها ، وهز رأسه وكأنما ابتسم ، ثم اغلقها ، ربما الى الابد .

القاهرة — **يوسف الشارونى**

رينه ديكارت

بقلم صادق الحسني

مفتش الآثار القديمة بالعراق

•

ان التأثير المتبادل للفكر [1] الفرنسي والبريطاني والاكتشاف في مجرى تقدم العلوم الحديثة موضوع من موضوعات التاريخ . فلافوازيه اعتمد في تأليفه لفلسفة الكيمياء على بحوثه الخاصة وعلى ثمرة تجارب واكتشافات معاصره بلاك. ولعل بريستلي وكافنديش خير مثال واضح على ذلك . وهذا العام الذي هو العام الثلاثمئة بعد وفاة ديكارت [2] ، لا يذكرنا باحد الاوائل من رجالات العلم الحديث فقط ، بل بمن كان موضع اعجاب اترابه من البريطانيين وخلفائهم ، وكان له اعظم الاثر فيهم .

وان اخص مؤلفات ديكارت هو : « مقال عن المنهج » [3] « ١٦٣٧ » وقد تضمن منهج هندسته التي كانت الاساس للهندسة التحليلية و « تأملات في الفلسفة الاولى « ١٦٤١ » و المبادىء الفلسفية — ١٦٤٤ — لقد قرأ ديكارت بيكون في « النظام الجديد » واثنى عليه ولكنه اعتبر ان العلم يتقدم باتباع طريقة الاستنتاج (deduction) في التفكير تقدماً أفضل من اتباع طريقة الاستقراء (induction) في ذلك ، وبواسطة الاستنتاج الذي يستند على ما لا يمكن ان يقبل الامؤكداً ورأيه في ذلك معروف بعبارته الشهيرة « انا افكر ، اذن فانا موجود [4] (cogito , ergo Sun) ، والتي يمكن ان تنقل بدقة اكثر في قولنا ، انا اشك فانا موجود (Dubito, ergo Sun) وخالفه ايضاً في ادراك اهمية الرياضيات في العلوم ، كما انه اهتم كذلك بمؤلف لجيلبرت اصدره سنة ١٦٠٠ عن المغناطيسية بعنوان « في المغنطيسية » ووضع النظرية العلمية الاولى في المغنطيسية ، وكان معجباً اعظم اعجاب بمؤلف هارفي [5] الموسوم بحركة القلب (De Motu Cordis) ، والذي اصدره سنة ١٦٢٨ .

وان تأسيسه للهندسة التحليلية [6] ودراساته للحركة ومؤلفاته عن انكسار الضوء [7] ومعارضته للتفسيرات التي تقول بالصفات الخافية وغرضه في جعل الدراسات الفيزيائية على اسس ميكانيكية ونضاله لأولاء الذين اعتبروا الحيوانات مجرد آلات ، كل ذلك جعله في عداد الفلاسفة المبدعين الحديثين. ولقد ابتعد بزمام العلم عن عالم ارسطوطاليس ، وبقيت طريقته نافذة حتى حلت محلها طريقة نيوتن .

لقد اعتبر ديكارت المادة مستمرة وقابلة للانقسام الى ما لا نهاية ، وانها ليست في قرارها متحركة ، على خلاف اولئك الذين كانوا يؤمنون بالنظرية الذرية القديمة في جوهرها باضافة فكرة ميتافيزيقية لها ، والذين يدعون ان العالم تألف من الذرات

---

١ ترجمت هذه المقالة عن الطبعة الانكليزية من مجلة انديفر، وهي تصدر اربع مرات في السنة ، بالفرنسية والانكليزية والاسبانية والالمانية والايطالية.

٢ ولد في لاهاي في ٣١ مارس سنة ١٥٩٦، وتوفي في السويد في ١١ فبراير سنة ١٦٥٠ ونقلت رفاته الى باريس سنة ١٦٦٦.

٣ وعنوانه الكامل: مقال عن المنهج لاحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم . ويليه علم انكسار الاشعة وعلم الانواء والهندسة. وهي تجارب لهذا المنهج. «وكان ديكارت ينوي ان يجعل عنوان المقال، مشروع علم شامل يستطيع ان يرقى بطبيعتنا الى اعلى مرتبة لها من مراتب الكمال، ولكنه شم رائحة الغرور تنبعث من هذا العنوان فعدل عنه وآثر العنوان الذي ظهر به الكتاب. » (عن كتاب : مقال عن المنهج - ترجمة محمود محمد الخضيري، القاهرة ، سنة ١٩٣٠).

٤ وفي الفرنسية: je pense, donc je suis

٥ كتب ديكارت في هامش النص الفرنسي لمنهجه (هارفي حركة القلب) باللغة اللاتينية ، وهارفي هو طبيب انكليزي مشهور باستكشافه لدورة الدم وقد عاش من سنة ١٥٧٨ الى سنة ١٦٥٨.

٦ يقصد استكشافه للهندسة التحليلية، وهي توفيق بين علمي الهندسة والجبر

٧ يعرفه (مرسن) في كتابه (الحقيقة في العلوم) بانه العلم « الذي يعرفنا كيف نبصر بواسطة الشعاع المنكسر كما هو الحال عندما نرى جزءاً منها في الماء والآخر في الهواء». ويدخل في ما يسميه العرب بعلم المناظر وهو ما يسميه الاوربيون (Optique) ويترجمه المحدثون بكلمة (علم الضوء). ويعرفه ابن خلدون في « مقدمته» بقوله « هو علم تتبين به اسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على ان ادراك البصر يكون بمخروط شعاعي، رأسه يقطعه الباصر وقاعدته المرئي ثم يقع الغلط كثيراً في رؤية القريب كبيراً والبعيد صغيراً، وكذا رؤية الاشباح الصغيرة تحت الماء ووراء الاجسام الشفافة كبيرة، ورؤية النقطة النازلة من المطر خطا مستقيما والشعلة دائرة وامثال ذلك...الخ» وابن خلدون يعتبره من العلوم الهندسية ولكن ديكارت يراه من العلوم الطبيعية الممزوجة بالرياضة.

والفراغ . وان حركة الكوكب السيار في مداره ، حسب نظريته تتولد عن الدوارات « الدوامات » الهائلة لمادة تملأ الفضاء ، والتي تحمل السيارات في افلاكها .

ان هذين الرايين، مادة مستمرة وانها دقائق تملأ كل الفضاء وعالم زاخر بحركة الدوامات ، نوقشا باهتمام من قبل خلفائه . ولقد امتدح والتر كارلتون ذكاء ديكارت وأشاد بفطنته النافذة وابان عن تأثير فلسفته في كتابه « علم الفيزياء » الذي اصدره سنة ١٦٥٤ فكان اول كتاب عن المذاهب باللغة الانكليزية ، قال فيه : « ان رأي ديكارت الممتاز .. والذي ترفق في ابدائه بالرغم مما فيه من عنف ، نال رضاء معظم فيزيائيي العصر (اولاء الذين ابت عليهم عقولهم اعتناق اية آراء غيرها) وخاصة فيما يتعلق بأثره في التسوية بين المبادىء الميكانيكية والعمليات العقلية الطبيعية .

ولقد كان بويل يكن لديكارت اعظم الاحترام ، ووصفه بانه « لوذعي » وانه « ممتاز » و « انه الشخص الذي لا اجرأ على مخالفته .. » وقد اعتبر نظرية الدقائق لديكارت (Cartesian Corpuscles) تنافس النظرية الذرية (Atomism) لديمقريطس [8] على الرغم من انه كان يرجح نظرية ديمقريطس . لقد ايد بويل، تحت تأثير فلسفة ديكارت Corpuscular Philosophy، تفسير صفات المادة على اساس ميكانيكي صرف ، في الكتاب الذي اصدره تحت عنوان « اصل الاشكال والصفات » سنة ١٦٦٦ ، وكان لما عرض فيه من آراء صدى مقبول .

ولقد ذكر هوك ديكارت عدة مرات في كتابه الموسوم بـ(مايكروكرافيا) والذي اصدره سنة ١٦٦٥ اذ انه كان مطلعاً على كتابات ديكارت ، وكان في رأي نيوتن ، انه هو الذي مهد لنظريته في الالوان . ولقد كتب في كتاب آخر له ، وعنوانه المصباح ، اصدره سنة ١٦٧٧ « مع اني اعترف الآن باني احسب ان الجاذبية ليست هي كما فرضها ديكارت ، الا اني اعتقد بان فرضياته عنها صمدت امام الاعتراضات التي وجهت لها ، لما كان فيها من اسس عقلية وذكاء ، وكانت احسن من أية فرضيات اخرى عرفتها في ذلك .

ولقد عرف عن نيوتن انه قرأ « الهندسة » لديكارت في ١٦٦٤ ومن الممكن ان يكون لذلك اثر في توصله الى حساب التفاضل (Calculus) . وتطرق نيوتن في كتابه « المبادىء » الى نظرية الدوامات لديكارت والتي مع تقدم المعرفة قبلت واخذت تحل محل فرضيات أرسطوطاليس عن نظام حركة الكواكب ، ولقد خصص لمناقشتها معظم ما جاء في القسم الثاني من كتابه ، وعلى كل حال ، فقد بقي المذهب الديكارتي مقبولا حتى بعد صدور كتاب المبادىء في ١٦٨٧ . ولا يرجع سبب ذلك الى ما كان في نظام نيوتن من صعوبة ، ولكنه يرجع الى انتشار كتاب مدرسي معروف في الفيزياء ، كان لجاك رهولت بعنوان « بحث في الفيزياء » ، وقد الف في ضوء نظام ديكارت ، وظهر اول مرة في سنة ١٦٧١ . وصدرت طبعات لاتينية منه في جنوة عام ١٦٧٤ وفي لندن في عام ١٦٨٢ ، وتلا ذلك صدور طبعات فرنسية . وقبل صدور كتاب المبادىء لنيوتن في سنة ١٦٨٧ كان الكتاب المشار اليه ذا مكانة في الجامعات البريطانية كما كان له شان في جامعة كمبردج (جامعة نيوتن نفسها) مع ان نظام نيوتن كان يدرسه في جامعة ادنبرة دافيد كريكوري قبل ان يتركها الى جامعة اكسفورد في سنة ١٦٩٠ . ولقد كان نظام ديكارت يعتبر « فلسفة جديدة » — كفلسفة معارضة لنظام ارسطو — في اكسفورد ، حتى كانت سنة ١٦٩٧ حيث اصدر صموئيل كلارك ترجمة لاتينية اخرى لكتاب دوهولت ، مضافاً اليها ملاحظات على نظام نيوتن ، وبذلك ، كما قيل « دخلت فلسفة نيوتن جامعة كمبردج اول مرة بحماية من فلسفة ديكارت ! »

ولم يحل منتصف القرن الثامن عشر حتى كانت الديكارتية تفسح الطريق للنيوتنية ، وبالرغم عن نبذ النظام الشمسي لديكارت فقد بقي لاكتشافه هذا اثر مستمر في اتجاهات اخرى طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، بل الى العصر الحاضر ولا سيما فيما يتعلق باعتقاده في وجود المادة التي تملأ العالم والتي لم يزل تفسيرها هدفاً اساسياً لرجال العلم .

بغداد

صادق الحسني

---

[8] وقد عاش من ٤٦٠ الى ٣٧٠ ق.م، وهو تلميذ ليوسبس ، الذي امتدت حياته (٥٠٠ ـ ٤٣٠) ق.م. وان اول من وضع النظرية الذرية هو ليوسبس، ولكنها تنسب عادة الى تلميذه ديمقريطس ، وهو الذي اطلق عليه بناء على ذلك اسم «ابي الفيزيقا» . ويقرر ديمقريطس ان الحقائق المطلقة هي الذرات والفضاء ، والذرات تتفاوت حجما وشكلا، وكل الاجسام المركبة تتكون منها، وما نجده من الاختلاف بين الاجسام المركبة يرجع بعضه الى فروق في احجام واشكال الذرات التي تتكون منها، وبعضه الى وضع الذرات وبعضه الى ترتيبها في الاجسام التي تتألف منها، وان الذرات ليست ساكنة بل اوتيت الحركة... الخ (عن كتاب: «عرض تاريخي للفلسفة والعلم» تأليف ـ أ. وولف. استاذ المنطق بجامعة لندن، ترجمة محمد عبد الواحد خلاف ، ص ١٤ وما بعدها.

العناية بالشعر المعاصر

بقلم زكي المحاسني

دكتور في الآداب من جامعة فؤاد الاول

وقفت على مجموع للشعر الفرنسي المعاصر يقع في كتب خمسة، ألف بينها جميعاً الاستاذ جورج والش، احد النقاد الذواقين، وكتب مقدمة ثلاثة منها الشاعر المشهور سولي برودوم. قصرها على شعراء عاشوا اواخر القرن التاسع عشر واوائل عصرنا هذا. اما الجزآن الباقيان فواحد منها لشعراء الامس واليوم، والآخر لشعراء الساعة.

وحين اخذت انظر في الطائفة المعاصرة لم اجد المؤلف قد هان عليه الادب فحشر بين هذه الطائفة نفراً من المغذمرين المبتدئين. اذ كان عنده ان الشعراء فرانسيس كاركو وبيير كامو وجول رومان من افذاذ الشعر الحديث. وكنت اعلم ان كاركو ورومان من كهنة الادب، فاذا الاستاذ والش يعرضها في معرض الحداثة المعاصرة، والطرافة الاخيرة في الشعر. فرحت اذكر شعرنا المعاصر، وما صنعنا من اجله، وذهبت في الحفاوة بهذا الشعر مذهباً لا يتقبله مني الكثيرون.

على ان اول ما ينبغي ان يعلمه ناشئة الادب هو هذا الشعر. لكن مناهج الدراسة الادبية في مدارس البلاد العربية وجامعاتها انما تبدأ بشعر الجاهليين الذين يمضي بهم امرؤ القيس في مجاهل الصحراء، فيتبعهم الناشئون الدارسون لشعرهم القديم فيضيعون وراءهم في رمال البادية

☆

كما يضيع ركب ضل الطريق فهلك عطشاً.

وقد طال عجبي لانصراف العرب المعاصرين عن العناية بشعر العصر. وبت احلل سبب هذا الانصراف واعلله فوجدته يعود الى نزعة سيئة في اخلاق التأدب الحديث. وهي كره المشاهد المعروف والولوع بالبعيد الغريب. ولا سبيل الى وصف هذا التعليل الا باللجوء الى دراسة روح الجماعات لمعرفة الاسباب في تنكبها طرق الصواب. وكيف كان الامر فان هذا يدل على ان الامة العربية المعاصرة لا تعيش في ادبها الا في جو من الاحلام القديمة. وهذا خطأ وتقصير. فما الصق معرفتنا بمعايشنا من اهل الادب.

ان نفسي تتوق الى الكتابة عمن اعرف من ادباء العصر، ففيهم ازاهير لا تفنى، والمعاصرون محسوبون علينا، وآثارهم ما تزال بين ايدينا، فيها جمال وطرافة، وفيها ابداع واحكام.

ان مهمتنا في الادب شاقة، واشق مرحلة فيه هي البحث عن الغابرين والكلام عن القدامى. فما اشبه الناقد او المؤلف حين يبحث عن شاعر قديم بمن يحفر دفائن الارض لينقب عن الآثار علّه يحظى منها بثمين، ويترك ما بين يديه من قريب الطرائف.

ولست ادعو الى اهمال الدراسة في الآداب القديمة، فانها عندي خير الاعمال العلمية التي تكفل لمجد العرب البقاء، وتصل ماضيهم الاغر بحاضرهم. لكني اوثر قبل كل شيء ان نعنى بأدب المعاصرين لانهم اقرب الينا، ووجودنا معهم في زمن واحد يعين على صحة التحقيق عنهم، والحكم عليهم، وتتوافر بين ايدينا النصوص الادبية التي يصنعونها.

ان نشر مخطوط واحد، واذابة الطرف في تقويم ما اضطرب عن عبارته بسبب محوه واتيان الزمن عليه، يعدل منه عمر شهر واحد سنة في نشر آثار المعاصرين. ومن الخير لنا ان نجمع بين الفضلين فننشر ما انطوى من آثار الاقدمين مع ما حضر من بدائع المحدثين.

لم يصدر الى اليوم في ديار العرب كتاب شامل في دراسة آثار شوقي - وهو اعظم شاعر معاصر - على نحو ما يدرس الغربيون شعراءهم المحدثين. وكل ما صنع من اجل شوقي لوامع بحوث بدأها الدكتور طه حسين، ويصنع فيها بعض اهل الفضل من الاساتيذ صنعه. فأين كتب يضعها المؤلفون الاصفياء يدرس بعضهم فيها حياة شوقي من مبادئها الى خواتيمها مع تحليل لشعره وتطور لهذا الشعر ويتبعهم آخرون بنثره او بمسرحياته، او بنشر آثاره في طبعة مسلسلة مشروحة مع مقدمة وتعليق على نحو ما نرى عند

الغربيين فيما يعملونه من اجل شعرائهم المحدثين .

اين في ادبنا المعاصر ما يسمى في التعبير الغربي œuvre complet فلسنا نجد احداً ممن جاد بهم الزمن منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى اليوم قد حظي بمثل هذه المجموعة الكاملة من طبع آثاره في حياته او في مماته . ولو عرف قرائي الاعزاء ما كابدحتى الامس الذين نشروا شعر الشاعر العظيم خليل مطران من المتاعب، لاشفقوا مما يعتري كل متصد لمثل هذا الامر .

زهد العرب اليوم بالآثار الادبية الحديثة وتعلقوا بالقديمة استخفافاً لحاضرهم . ولم يكن مثلهم السابقون من اهل الاعصر الاموية والعباسية والاندلسية . لقد كان ادب الجاحظ يملأ ايام القوم الذين عاصروا الجاحظ، وكان المتنبي شغل البلاد بأخباره وشعره وهو حي قبل ان يموت . وكانت قرطبة واشبيلية تميدان لذكر ابن زيدون



وولادة ومهجة ونزهون ، وهم احياء يرزقون .

ووجدت اهل زماننا لا يعنون في ادباء العصر الا بمن يتقدم اليهم بضرب من القصص ، او فنون من الشعر تلهيهم. فالشاعر المعاصر عندنا هو البائع الذي يعرض سلعته على الشارين ، ويطوف بها من سوق الى سوق ليجد لها ناظرين . والحق في شرعة الادب ان يقبل الناس على الشاعر وعلى الاديب كما يقبل الشراة على المتجر الأفضل ، تغريهم الطرافة ويجذبهم الرونق .

ولا يكون للجمهور اقبال على هذه السلع العقلية بغير وسطاء السوق وهم الناشرون . وقد قام اصحاب دور النشر في مصر بقسط موفور من تكريم ادبهم المعاصر ، ولحق بهم بعض الناشرين في لبنان . لكنهم جميعاً قصروا حفاوتهم على الطائفة التي لا يعوزها الناشرون ولا الشارون وظلت وراء هؤلاء طبقة من اهل الادب ، ومن خيار الموهوبين . محرومة من اقبال دور النشر على آثارها. لقد عرفت في مصر ادباء وقفت العقبات في طرقهم ، على ما في آثارهم من اتقان ، فروى لي واحد منهم انه الف قصة طاف بها على الناشرين حيناً من الدهر فكانت تتجهم له اوجههم ، حتى اتيح له جماعة من الجامعيين عرفوا حقه وقدروا ادبه فنشروا آثاره ، وقد طار له ذكر بعد عملهم المجيد. ولا يقاس على مصر ولبنان ما في الشام من كساد سوق الادب . فأين دواوين شعرائنا . ان بعضاً منهم نشروا طوائف من شعرهم ، فبذلوا في نشرها ما لهم . ولم يتقدم اليهم وسيط مثقف ينسيهم تعب السنين في صوغ ذلك الشعر الجميل . وظل الآخرون وقد اسن منهم من اسن ، وكاد يجتاز الكهولة من يتهيأ لذلك ، وليس لاحد منهم ديوان شعر مطبوع . ولو جئت تسألهم عن شعرهم لحيروك ثم احزنوك . فان فريقاً منهم لا يعرف اين مصير شعره . انه موزع في الصحف والمجلات ، وآخر جمع منه قصاصات ضاع اكثرها . وثالث طلع على الناس بشعر رائق ثم جفاه واطرحه . ورابع راح يبحث عن شعره المفقود . وليس عند احد منهم مجموع مرتب حسب السنين ينام في مخطوطه منتظراً يوماً تطلع عليه فيه شمس المطبعة . ولا كتب احدهم تاريخ حياته بقلمه . ولا كتبها له احد . ولست ادري ما ينتظر هؤلاء من ضيعة الآثار ، وتشتت الاخبار .

واني لاعذرهم، فلقد المس جراحاتهم واعرف مواجعهم جميعاً . ان قولتهم الواحدة هي هذه الكلمة اليائسة :

— هات من يقدر الادب ، فيعين على نشره .

كذلك انطوى شعراؤنا على انفسهم، ينفسون كربهم بين عام وعام بنشر قصيدة او بتأليف كتاب في الادب ، او نشر مقالات في الفن ، او بث مخطوط من سباته العميق . ويظل الناس على جودهم في الانصراف عن ادب المعاصرين الى آثار الاقدمين . فهم ابداً ينظرون الى الوراء ، وينتظرون ان يطبق الموت جفن الاديب المعاصر ليضموه الى اسماء الغابرين، ويومئذ يقبلون على آثاره ، ويبحثون في اخباره . وليس له من ذنب ، وليس لهم من عذر ، الا ان الموت طبع على اسمه ميسمه الرصاصي الخالد .

دمشق — زكي المحاسني

حلم

لنعمة حاج

الولايات المتحدة

رأيتك في المنام وغب صحوي ووددت العمر لو اضحى مناما
فأهنأ في الحياة فلا اعاني شقاء او بعادا واغتماما
فيا وجه الحبيب طلعت بدراً يزيح سناه عن قلبي الظلاما
ويا ثغر الحبيب اذقت شهداً حلالي منك ام ذقت المداما
سلاماً ايها الطيف الموافي وما وافيتني الا لماما
وليس احب من ملقاك الا مبادلتي حقيقتك الكلاما
اجئت تدلني ان التلاقي يكون بعيد ان نلقى الحماما
فنحيا في جنان الخلد روحاً الى روح عناقاً او ضماما
فيا طيف الحبيب فدتك روحي اعدها زورة تشفي الاواما
وليت يصح - ان يجدي التمني - رجانا او فليت الحلم داما

◆

ابتهال

عن لامارتين

لمصطفى محمود

انت يا من في قفرة العمر لاحت يا ابنة الخلد عبر هذا الفضاء
انت يا من اضأت بالحب ليلي بشعاع المحبة العذراء
اترى انت من سلالة ارض ام ترى انت نفحة من ضياء ؟

***

اغداً تذهبين نحو ضياء الخلد ام انت في اكف الشقاء
ما تزالين تقطعين خطى البعد وتشكين برحة الا عياء
آه مهما كانت حياتك اني لا اراني اهيم بالاسماء
يا ابنة الارض والسماء دعيني اتقدم بهيمات رجائي ..

***

واذا كنت مثلنا سوف تقضين فكوني دعامتي في الفناء
واذا طرت يا ابنة الخلد عن دنيا المآسي وبؤرة الارزاء
لتعيشي في سدرة الخلد جذلى فاذكريني «الفير» خلف السماء
بعد ان همت في جمالك يوماً بين اعطاف هذه الغبراء

معروف الرصافي

بقلم حمدي الحسيني

☆

معروف الرصافي رحمه الله شاعر عربي فحل. ولد في العراق ونشأ فيه. اشتغل بالتعليم في العراق والاستانة وفلسطين ودخل مجلس النواب العثماني نائباً عن متصرفية (المنتفك) من اعمال العراق. عاصر عبد الحميد واكتوى مع الشعوب العثمانية عامة والامة العربية خاصة بنار مظالمه. فتألم لشدة وقع تلك المظالم. ولكنه لم ينطو على المه شأن المستضعفين من الناس الذين يقع الظلم على رؤوسهم فيطأطئونها صابرين وينصب الاذى على نفوسهم فيحتملون الاذى خاضعين بل ثار على الظلم ثورة عنيفة صاخبة وقاوم الاذى مقاومة قوية صارخة وقد شهد الانقلاب العثماني وسقوط الجبار عن العرش فثارت الحمية في نفسه وصاح في وجه الجبار بصوت متهدج جهوري مجلجل يحمل كل معاني ارواء الغليل ورأى طلعة الدستور البهية مشرقة على الامبراطورية العثمانية فكبر وهلل ورحب بالدستور ترحيب الصب المستهام وتغنى بحسناته بأعذب الانغام.

خالط الاتحاديين وهم في منصة الحكم وفي ظل الدستور فأطرى ومدح وعندما جنحوا عن المحجة صاح في وجوههم غاضباً مؤنباً عاتباً معنفاً. ورأى توثب العرب للنهضة وتحفزهم للنضال في سبيل الحرية فأحس باحساسهم ومشى في صفوفهم يثير في نفوسهم ما كمن من القوة ويحرك في عواطفهم ما خمد من الانطلاق والحركة واتصل بالملك العربي في الشام والعراق وبالحركات الوطنية في العراق وسوريا وفلسطين فشقي وتنعم وبكى وتبسم.

والرصافي كما عرفناه في القدس بالمعاشرة. وفي شعره بالسماع والمطالعة عميق الشعور والذكاء مرهف الحس حائر النفس قلق العواطف مكبوت الرغبات وهو على علمه وفضله وعلو كعبه في اللغة والادب وعلى سبقه في الحركة العربية القومية وجليل اثره في ميدان الكفاح في سبيل الحرية والاستقلال عاش في ضنك من الحياة وبؤس من العيش ولكن هذا الضنك وهذا البؤس لم يؤثرا على عزة نفسه ولم يسلماه لغير الكرامة وعلو الهمة وكثيراً ما كان يتمثل بهذا البيت.

تعود كل بؤسها ونعيمها	وعشنا على بؤس ولم نتعود

وكل ما فعل الفقر في نفس الرصافي هو الكبت فقد كبت الفقر وان شئت فقل الشعور بالنقص غريزة التغلب والسيطرة فانكبتت هذه الغريزة القوية العنيفة فأقضت عليه مضجعه وزلزلت اركان حياته حتى هدته المعرفة الى ما تعانيه الامة العربية من آلام القهر والخضوع فرأى في قهرها صورة لسلطته المقهورة فدفعه هذا التشابه الى التفكير في الغير بدل التفكير في الذات تخفيفاً لالم الكبت. فراح الرصافي بعد هذا الانتقال النفسي يصف ما تلاقي الامة العربية من الم الخضوع لظلم المستبدين من الحكام. ومرارة الانقياد لسلطان الجهل وحكم العادات الضارة والتقاليد السقيمة وهو بهذا انما يصور رغبته في الحرية الاجتماعية والسياسية ويضع خطط الوصول الى هذه الحرية لتطبقها الامة في نضالها. ومن حسن حظ الامم المستضعفة ان يكون بين افرادها امثال الرصافي ممن كبتت فيهم رغبة الحرية ووهبهم الله قوة البيان سلاحاً يقاتلون به عدو الامة

وعدوهم فهؤلاء المكبوتون في الامم الخاضعة المقهورة كالحرارة في الاجسام والنور في الظلام والحد القاطع في شفرة الحسام. احس الرصافي بالظلم الواقع على الامة العربية من قبل السلطان عبد الحميد وحكومته المؤلفة من اوشاب الناس ورأى الخضوع لهذا الظلم بادياً على الامة العربية بدوا شائناً معيباً وهي الامة العريقة في الحرية والاستقلال والقوة والكرامة فتاذى بهذا الظلم وبرم بهذا الخضوع فنظم قصيدة سماها (تنبيه النيام) بدأها بالتساؤل عن الوقت الذي تنتبه فيه الامة العربية فتدفع عن نفسها الاذى وتسترجع حقها المسلوب ويبدي تعجبه لصبرها على الضيم وبقائها على الظلم .

عجبت لقوم يخضعون لدولة
يسوسهم بالموبقات عميدها
واعجب من ذا انهم يرهبونها
واموالها منهم ومنهم جنودها

ولكن ما قيمة التألم في هذا المعرض لخيرمنه توجيه الامة الى الهدف. واي هدف احلى من الحرية في منظر الامة المستعبدة.

الا انما حرية العيش غادة
من كل نفس وصلها ووفودها
يضيء لجنات الحياة جبينها
وتبدو المعالي حيث اتلع جيدها

اخذ الرصافي يقذف بحممه في وجه الظالم المتربع على العرش ويهدي باقات عواطفه العطرة لامته الخاضعة فينعشها ويغذيها ويحفزها حتى حدثت في نجد حوادث دامية بين ابن الرشيد خليف السلطان وابن السعود خصيمه فاهتبل السلطان الفرصة وساق على المتخاصمين جيشاً عربياً من العراق ليفك الخصام في الظاهر وليعين ابن الرشيد على ابن السعود في الباطن. فاشتبك الجيش مع المتخاصمين وكلهم عرب فجرت الدماء حتى صبغت رمال الصحراء تحقيقاً لرغبة السلطان الذي اراد ان يضعف من قوة الامة العربية بقتل زهرات شبابها من الحاضرة والبادية ويباعد بين صفوفها بتقوية البغضاء والعداوة بين امرائها وقادة الرأي فيها فقام الرصافي لهذا الحادث وقعد . برق ورعد ونظم قصيدة سماها (ايقاظ الرقود) خاطب بها العرب ووضع امامهم ما اراد السلطان بسوق الحملة العربية على الاميرين العربيين في قلب الجزيرة العربية .

حكومة شعبنا جارت وصارت — علينا تستبد بما اشارت
فلا احداً دعته والا استشارت — وكل حكومة ظلمت وجارت
فبشرها بتخريق الحدود

ولم ينس الرصافي في هذا الموقف ان يوجه اقسى عبارات اللوم والتعنيف على ما ارتكب من الاعمال التي تتنافى ومصلحة الامة العربية واخذ يستعرض ما اصاب الجنود العرب من قتل وفشل في تلك المعركة المشؤومة وحاشا للرصافي ان ينسى عبد الحميد في هذا الموقف وهو منبع الآلام الجسام والمصائب الضخام .



معروف الرصافي

اقول وليس بعض القول جداً
لسلطان تجبر واستبدا
تعدى في الامور وما استمدا
الا يا ايها الملك المفدى
ومن لولاه لم نك في الوجود

أنم عن ان تسوس الملك طرفا
اقم ما تشتهي زمرا وعزفا
اطل نكر الرعية خل عرفا
ثم البلدان مهما شئت خسفا
وارسل من تشاء الى الحدود

فدتك الناس من ملك مطاع
ابن ما شئت من طرق ابتداع
ولا تخش الآلة ولا تراع
فهل هذي البلاد سوى ضياع
ملكت او العباد سوى عبيد

تنعم في قصورك غير دار
اعاش الناس ام هم في بوار
فانك لم تطالب باعتذار — وهب ان الممالك في دمار
اليس بناء يلدز بالمشيد

ظل الرصافي على هذه الحال تغلي عواطفه في صدره بمقاومة الظلم وتتطاير قذائف حقده على الاستبداد والخسف ينظم القصيدة في بغداد ويرسلها للنشر في مصر حتى تم الانقلاب العثماني وسقط عبد الحميد عن العرش فصاح بصوت جهوري :

قمنا على الملك الجبار نقرعه — بالسيف منصلتا والرمح مهزوزا
حتى تركناه في هيجاء معضلة — القت ضراما على الطاغين مأزوزا
وأكل الموت دون العز نمضغه — كمضغنا التمر برنيا وسريزا
لا عاش من لا يخوض الموت مرتضيا — بقاءه لا يعصي الذل موكوزا

صاح الرصافي صيحة في وجه الجبار الهاوي عن العرش والتفت يتغنى بالحرية والعدالة والمساواة ويشيد بذكر الدستور

وابطال الانقلاب غير مفرق بين عنصر وعنصر من مجموع العناصر العثمانية حتى رأى الاتحاديين يبيتون ضد العرب ورأى العرب يتنبهون للامر فيطلبون حقهم في الاصلاح وحقهم في الاستقلال الذاتي فكشر في وجه الاتحاديين واقبل على العرب يحضهم على طلب الحرية وبذل الثمن لهذه الحرية التي لا تذوق امة طعم السعادة بدونها ولا يصل اليها شعب الا بدماء المهج فنظم قصيدة سماها (في معرض السيف) يؤيد بها الحركة الاصلاحية في بيروت ويدعو جميع العرب الى الانضمام اليها .

هي المنى كثغور الغيد تبتسم ... اذا تطربها الصمصامة الخذم
دع الاماني او رمهن من ظبة ... فانما هن من غير الظبى حكم
والمجد لا تبنه الا على اسس ... من الحديد والا فهو منهدم
والحق لا يجتنى الا بذى شطب ... ماء المنية في غربيه منسجم
فللحسام صليل يرتمي شرراً ... مفتقاً اذن من في اذنه صمم
وانما العيش للاقوى فمن ضعفت ... اركانه فهو في الثاوين مخترم
والمجد يأثل حيث الناس يدعمه ... حتى اذا زال زال المجد والكرم

نظم الرصافي ذلك الشعر القوي ضد الظلم والاستبداد في ذلك الزمان المظلم الرهيب ولم يبقه محفوظاً في صدره او مطوياً في بطن دفتره بل نشره على الناس سراً وعلناً بلسانه وقلمه فكان عمله جرأة عبقري وشجاعة بطل اما تأثير هذا الشعر في نفوس العرب في ذلك الزمن فقد كان عظيما جداً ولا نشك انه كان قبسة قوية الحرارة والنور اشعلت في نفس الامة العربية رغبة الحرية وانارت امامها سبيل الحياة فمشت بقوة تلك الحرارة وبهدي ذلك النور خطوات موفقة نحو الحرية والحياة . واما بعد الدستور فقد رفع الرصافي علم الحرية امام امته جهاراً نهاراً واخذ يقودها الى الحياة في ظل ذلك العلم على نغمات شعره الشجية المطربة تارة ، وبقوارع كلمه وصوادع حكمه تارة اخرى حتى اصبح شعر الرصافي بسمات جميلة على ثغور العرب وآيات جليلة على السنتهم وآمالا لذيذة في قلوبهم وهزات عنيفة في نفوسهم وعزمات صادقة في هممهم وصوارم باترة في ايديهم فقاوموا الظلم ودفعوا الاذى وشادوا الممالك فكان شعر الرصافي اناشيد الثائرين واهازيج الفاتحين واغاني المنتصرين الظافرين وما كادت تستقر الممالك العربية وتتوطد فيها العروش وتشاد دور العلم وتفتح نوادي الادب حتى اصبح شعر الرصافي نوراً قوياً يغمر تلك الممالك ومصابيح منيرة تسطع في دور العلم وينابيع غزيرة تخصب في نوادي الادب .

وما دمنا نتحدث عن شعر الرصافي القوي وتأثيره الواسع المدى في نفسية الامة العربية فمن الحق علينا ان نبحث عن سر هذه القوة العجيبة التي جعلت لشعر الرصافي هذا التأثير العجيب.

درسنا شعر الرصافي واضفنا ما استنتجناه من هذه الدراسة الى ما استنتجناه من دراستنا لنفسه خلال المدة التي قضاها بيننا مدرساً للغة العربية في كلية دار المعلمين في القدس فكانت نتيجة الدراستين الجزم بان سر قوة الرصافي في شعره وفي شخصيته هو الايمان .

آمن الرصافي بحق الامة العربية في الحياة الحرة وآمن بان الوسيلة الى هذا الحق هي القوة . فانفجرت نفسه بهذه القوة شعراً قوياً يولد به القوة في نفس الامة العربية لتاخذ بها حقها في الحياة الحرة. انفجرت نفس الرصافي بشعر القوة على اختلاف انواع القوة فالعلم قوة تتخذ منه الامم التي تطلب الحياة وسيلة للحياة . وما دام العلم قوة فله من شعر الرصافي نصيب وافر فهذه قصائده الكونيات والاجتماعيات تقوم على احدث نظريات العلم واصح قواعد الاجتماع . نرى فيها شروحاً لوحدة المادة والجاذبية والاثير والكهرباء واشعة رنتجن وآراء دارون في النشوء والارتقاء وتنازع البقاء وبقاء الانسب ومذهب ديكارت في التوصل الى اليقين بالشك ومبادىء الاشتراكية في ان تكون للعامل حصة من انتاجه .

تركوا السعي والتكسب في الدنيا ... وعاشوا على الرعية عاله
يأكلون اللباب من كد قوم ... اعوزتهم سخينة من نخاله
يتجلى النعيم فيهم فتبكي ... اعين السعي من نعيم البطاله
ليس هذا في مذهب الاشترا ... كية الا من الامور المحاله

واصلاح الوسط العربي من الناحية الاجتماعية . اليس فيه قوة للامة توصلها الى الغاية المرجوة في الحيـاة اذاً فللاصلاح الاجتماعي على اختلاف انواعه في الوسط العربي حظ كبير من شعر الرصافي .

فهذه قصيدته (المطلقة) يصف بها ويلات الطلاق ومآسيه على المرأة المسلمة وينتقد بقوة توقيع الطلاق لا سيما اذا كان وقوعه بغير قصد الطلاق وهذه قصيدته (اليتيم في العيد) تفيض رحمة وحناناً على الضعفاء وقوة وشدة على من يقف من العرب موقف العجز والذلة ويصيح فيهم :

نهوضا الى العز الصراح بعزمة ... تخر لمرماهـا الطغاة وتركع
الا فاكتبوا صك النهوض الى العلى ... فاني على موتي به لموقع

والنساء ألسن نصف الامة ؟. فكيف يمكن للامة العربية ان تصل الى هدفها ونصفها مشلول . اذاً فلتحرير المرأة العربية من شعر الرصافي مطارق قوية هائلة يهوي بها على قيود الحجـاب والزواج والجهل والحرمان من العمل .

كم في بيوت القوم من حسرة ... تبكي من البؤس بعيني امه
قد لوحت نار الطوى وجههـا ... واعمل الفقر فيهـا ميسمه
عـاب عليهـا قومهـا ضلة ... ان تكسب القوت وان تطعمه
من اي وجه تبتغي رزقهـا ... وطرقها بالجهل مستبهمه
وكيف والقوم رأوا سعيها ... في طلب الرزق من الملأمه

واما قصيدته الخالدة في التربية والامهات التي مطلعها :

هي الاخلاق تنبت كالنبات ... اذا سقيت بماء المكرمات

فتعتبر من اقوى انواع الشعر الاجتماعي واعمقه اثراً في نفس الامة وهي لا تزال تشع بنورها القوي في نفوس الفتيات العربيات فيستضئن بنورها ويهتدين بهديها . ولا نظن فتاة عربية واحدة دخلت المدرسة ولم تحفظ هذه القصيدة وتنتفع بها . وحرية الفكر أليست غاية من غايات الامم التي تبذل في سبيل الحصول عليها دماءها . اذا فالرصافي يدعو لهذه الحرية لانه لا يطيق ان يراها مقيدة في الوطن العربي بحيث لا يستطيع المفكر ان يجهر برأيه خيفة الاذى .

اذا كان في الاوطان للناس غاية ... فحرية الافكار غايتها الكبرى
فأوطانكم لن تستقل سياسة ... اذا انتم لم تستقلوا بها فكرا
اذا السيف لم يعضده رأي محرر ... فلا تأملن من حده ضربة بكرا

وهؤلاء المفاقيع الذين يفاخرون بالعظم الرميم أليسوا شراً على الامة وهلا يستحقون ان يصفهم الرصافي على وجوههم ليردهم عن هذه الاتكالية البشعة الى الثقة بالنفس والاعتماد على الذات .

فشر العالمين ذوو خمول ... اذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسب قديم ... اقام لنفسه حسبا جديدا
تراه اذا ادعى في الناس فخرا ... تقيم له مكارمه الشهودا

وهؤلاء الرعاديد الذين يتقاعسون عن ميادين الجهاد بحجة انهم يرون للامة ان تعنى بالعلم قبل الحرية وبالمال قبل الاستقلال . اليس من حق الرصافي ان يعلمهم الحكمة ويعطيهم فصل الخطاب .

قد علمتني الليالي في تقلبها ... ان الموفق فيها السيف لا القلم
وان اصدق برق انت شائمه ... برق تبسم عنه الصارم الخذم
واخصب الارض ارض لا تسح بها ... الا من النقع في يوم الوغى ديم
اني ارى المجد في الايام قاطبة ... الى عبيط دم المحيا به قرم
والمجد اعطى الظبى ميثاق معترف ... ان ليس يضحك الا حين تبتسم

واما مكانة الرصافي في الادب العربي ففي الذروة العليـا والمقام الاسمى فهو المع جوهرة في نتاج ادب العصر واثمن درة على جبين الشعر فهو بالحق شاعر الامة العربية وباعث روحهـا ومحرك همتها وحامل لواء جهادها واما آثاره في الشعر فديوانان طبع الاول في بيروت مصدراً بمقدمة طيبة للمرحوم الشيخ محيي الدين الخياط ثم صدر الديوان الثاني وفيه كل ما نظمه الرصافي بعد صدور الديوان الاول وقد صدره الاستاذ العلامة الشيخ عبد القادر المغربي بمقدمة تحليلية نفيسة

وله من الكتب .

- رواية الرؤيا مترجمة عن التركية لنامق كمال الشاعر التركي الشهير .
- نفح الطيب في الخطابة والخطيب وهو مجموعة محاضراته التي القاها على طلبة مدرسة الواعظين في الاستانة .
- الاناشيد المدرسية وهي طائفة من الاناشيد الوطنية والادبية يتغنى بها تلاميذ المدارس .
- محاضرات الادب العربي وهو مجموعة المحاضرات التي القاها في الادب العربي على معلمي المدارس في بغداد .
- رفع المراق في لغة العامة من اهل العراق ضمنه بحثاً مستفيضاً عن اللغة العامية في العراق وقواعدها وآدابها وامثالها ، وبعد :

فهذه خطوط سريعة وضعناها لنرسم عليها صورة الرصافي ونرى ان نقدم بجانبها الصورة الجميلة الانيقة التي رسمهـا الرصافي لنفسه بقوله :

وقلت لها اني امرؤ لي لبانة ... منوط مداها بالنجوم الزواهر
تعودت ان لا استنيم الى المنى ... وان لا ارى الا بهيئة ثائر
وان امضي الهم الذي هو مقلقي ... بطي الفيافي او بخوض الدياجر

غزة

حمدي الحسيني

احزان النخيلة العطشى

•

« احزان نخيلة من الصفصاف على شاطىء الفرات، ظامئة الى الماء والفرات منها على قيد باع ، والى النور ونور البدر يملأ البقاع »

❖

للدكتور عبد السلام العجيلي

الرقة - سوريا

•

من المجموعة الشعرية « الليالي والنجوم » التي تصدر قريبا في منشورات مجلة الاديب

مدت الى ساري الشعاع عشية اغصانها
قد ذوب القمر السعيد بنوره الوانها
في ليلة تاه الظلام بها بنور ضاف
حتى ظلال خميلة الصفصاف
ملت سواد الظل واطمئنانها
فمضت تبث نجومها اشجانها
رنو اليهـا من كوى الافواف

* * *

والنهر من تحت النجوم الزهر ملقى كالشعاع
غاف على كتف الرمال البيض مبسوط الذراع
زحفت اليه تحت اعطاف الكثيب جذورهـا
ظمأى الى الماء النمير ثغورها
بين السنا والماء باتت في التياع
نام الفرات عن الخميلة غير واع
والبدر يحلم ، والنجوم ، ونورها .

* * *

يا لوعة باتت مسيل النسغ تسري في عروقي
اظما ومن جنبي سال النهر مبذول الرحيق
الصخر في قنن الجبال الجرد ينعم بالضياء
والشوك في الواحات في ظل وماء
الا جذوري ما استطاعت بل ريقي
رمل الكثيب اذا تنكب عن طريقي
تنثال من قلبي رمال ، من دمائي

* * *

انت ظلالي الغبر تشكو من معاناة التراب
تهفو لتغسل في خرير الماء مسود الاهاب
يا ليتني الزبد المبعثر فوق امواه الفرات
عند اعتنـاق الضوء والموج حياتي
اسقي ظماء الدوح من روحي المذاب
او . . ليتني الرمل المغرق في السراب
أجتر وهم الماء في مجرى لهاتي

ثورة الاجراس

بقلم الانسة سميرة عزام

قصة

اليوم أحد والقرية اللبنانية الرابضة على كتف الجبل تستيقظ من سباتها على صوت اجراس الكنيسة تقرع في دقات منتظمة مألوفة وتدعو الرعية الى الصلاة ، فتهرع اليها العجائز وتخطر باتجاهها الصبايا وينطلق صوبها القرويون ، بعضهم مدفوع بالتقوى وبعضهم بالرغبة في قضاء فترة من الوقت تغاير ذلك (الروتين) اليومي الذي سئموه .

وأبو عطا اللاجىء الفلسطيني ..! يقف امام منزله يرقب افواج المارين حتى اذا ما انقطع سيلهم ، وضمتهم جميعاً قاعة الكنيسة الرحبة، وارتفع صوت الكاهن في تلاوة تراتيله راح ابو عطا يجر رجليه جرا نحو الكنيسة واتخذ لنفسه مجلساً في احدى زواياها .. وقد اتخذت تقاطيع وجهه شكلا جامداً ، ومال طربوشه الداكن الطويل في انكسار وذلة فاذا ما انتهت الصلاةواقترب المصلون من المذبح يلتمسون البركة، وارتفعت ايديهم ترسم الصليب بالاشارة على جباههم كان هو اول المغادرين، فيعود الى بيته ويلقي بجسمه على مقعد تداعت قوائمه ويحرك يديه بعصبية قائلا :

أهذه صلاة ؟.. لا والله .. انني لا اشعر قط بتلك الراحة النفسية التي كنت اسبح بها بعدكل « قداس » .. ان كل ما اراه واسمعه يغاير ما ألفته هناك .. في بلدي .. وجوه الناس ، صوت الكاهن ، الحان المرتلين .. رنين الاجراس .. وهذا الشماس البغيض . انني اكرهه .. لقد رجوته مرة ان يسمح لي بقرع الاجراس فاجاب لسنا على استعداد لان نتحمل هذه الدوخة . .

آه! لعنة الله على هذا الزمن الكافر الذي جعل مثل هذا التافه يرد لابي عطا طلبا ، ويصد له رغبة . !

عطا . . عطا اسمع . . ساعود الى بلدي سعياً على قدمي ، وليكن بعدها ما يكون ، لن ابالي قط برصاص اليهود ، ولن تثنيني ضراوة الغاصبين . . فقد قتلني الحنين .

ـ هلا كففت بالله عليك ..

ـ لا لن اكف .. لقد لنت لاغرائك فغادرت قريتي مضطراً والله ، ليتني عصيتك وبقيت الى جانب الخوري ابرهيم ، هو يرعى شؤون الكنيسة وانا ادق اجراسها .. فهذا شيء الفته منذ حداثتي ، اذ دربني عليه والدي .. لقد كان جدك يا عطا ابرع من يتلاعب بحبال الاجراس، لقد شهد له البطريرك حين زار قريتنا ليدشن كنيستها الصغيرة. كنت في طفولتي اصحب والدي الى الكنيسة ، حتى اذا ما اشتد ساعدي ونالت الشيخوخة من ساعده دفع الي بالحبال وقال انك وريثي .. حتى في هذا !

آه ! لتصب السماء لعنتها على بني اسرائيل.. بل لتصبها عليّ انا الذي بعت ذكرياتي في ساعة اندفاع وتهوس...

ـ ابي .. هلا انتهيت ؟

ـ او تريديني ان اخرس .. كلا لن اسكت..ولو انفلقت وما الذي يغريني بالسكوت ؟ .. اين ابو عطا الذليل الكئيب من ذلك الرجل الذي كان يرتدي في الآحاد شروالا جديداً ويلتف بحزام ملون ، ويتقبع بطربوش انيق، ويقرع اجراس الكنيسة بقوة يحسده عليها الشباب.. ان قوة ساعدي يا عطا كانت الدافع الاول الذي جعل امك ترضى بي زوجاًو تفضلني على ابن عمي ايوب!

اراك تضحك ايها العاق..حتى انت صرت تسخر من كلامي؟ طبعاً..ولك الحق..فقد نسيت ان والدك كان صديقاً حميماً لمختار القرية.. وكان رجلا من رجالاتها .. وكان حكماً يفتصل لديه الناس في خصوماتهم ، وكان الوحيد الذي انتقته امك سلمى من بين عشرين من الشباب غيره.. ـ اعرف هذا..

ـ اجل تعرفه..ومع ذلك تسفه كلامي وتضحك من ثورتي

ـ لقد ضحكت حقاً.. اذ ما الفائدة من ثورتك بين لحظة واخرى ان حالك حال عشرات الآلاف ومع ذلك لا تفتأ تندب اجراسك ، وكنيستك ، وصديقك الخوري ابرهيم .. ان علينا الآن ان نفكر باشياء اخرى غير هذه .. وكأني بالمشكلة كلها لا تساوي جرساً من اجراسك العتيدة ..

ـ وماذا تريدني ان اقول ؟ ..

ـ لا تقل شيئاً ــ انني لا احتمل.. انني اشعر بصوت الاجراس هنا ينفذ في اذني فيمزقها .. لا نغم .. ولا اصول .. ولا مرونة .. آه لو

شخصيات دستويفسكية: القوم المساكين

بقلم نهاد التكرلي

«ادخل ياجريجوروفتش واجلس*. لقد انتهيت تواً من تبييض كتابي وبودي ان اقرأه عليك» كان المتكلم دستويفسكي وهو جالس على اريكته، فاتحاً امامه، على منضدة صغيرة، دفتراً من اوراق الرسائل ذات الحجم الكبير: هي مخطوطة «القوم المساكين». كان حب الاستطلاع يكاد يلتهم جريجوروفتش، فهو لم ينقطع عن الاعجاب بدستويفسكي وكان يحزنه دائماً ان صديقه وهو على هذا الحظ من الثقافة والذكاء والحساسية لم يكتب حتى الان سوى نبذ روائية لا شأن لها. وقد جاء في مذكرات جريجوروفتش: «غالباً ما كنت اسائل نفسي كيف يمكن ان أؤلف انا وانشر بعض الكتب الصغيرة، بل وان اعتبر نفسي من رجال الادب بصورة من الصور، بينما لم ينتج دستويفسكي حتى الآن شيئاً في هذا المجال».

لا شك ان جريجوروفتش كان يتوقع ان تكون رواية دستويفسكي الجديدة من طراز «ماري استوارت» او «بوريس جودانوف» غير انه ما كاد يسمع صديقه يتلو عليه الجمل الاولى منها حتى غير رأيه.

كانت القصة بسيطة، منتزعة من الواقع اليومي ليس بطلها رجلا عظيما ولا شخصية تاريخية فذة، بل هو موظف متواضع قد خلق لمعاناة الشقاء والآلام.

☆

والقصة على شكل رسائل تتبادلها الشخصيات الرئيسيتان فيها: فهنالك ديوفشكين وهو رجل غامض، كبير السن، جاهل، بائس، طيب القلب الى حد انكار الذات والتضحية. وازاء غرفته الحقيرة التي يسكنها باجرة تقيم فتاة تدعى «بربارا» لها صلة قرابة مبهمة به. وبالرغم من هذه الصلة فأنها لا توافق على ان يأتي لزيارتها ولا تذهب لزيارته خوفاً من اقوال الناس وافتراءاتهم. وهما لذلك يتكاتبان.

هي شقية وهو شقي. ولكنه يحيطها بحب ابوي اخرق رقيق جذاب مع ذلك. اما هي فتحاول متابعة تثقيف صديقها الكبير السن لانها مثقفة قد قرأت وفكرت. فهي تتحدث له في رسائلها عن آلامها وتقص عليه حياتها: طفولتها المستسلمة وحبها الفجائي لطالب مصاب بالسل، ثم وفاة هذا الطالب وحزنها وشقائها ازاء مصائب الحياة بعد وفاة والديها. وقد اصبحت هذه المراسلة غذاء ديوفشكين وحياته. فهو لم يعد وحيداً بل اصبح موجوداً من اجل شخص معين.

انه يشتغل ويحرم نفسه ضروريات حياته التعسة من اجل

* كان اعتمادنا في كتابة هذا المقال على الكتاب الرائع الذي كتبه عن حياة دستويفسكي «هنري تروايا» الحائز على جائزة جونكور لعام ١٩٣٨: «Dostoïevsky par Henri Troyat» وعلى قراءتنا لترجمة الانجليزية لهذه القصة بعنوان «Poor Folk» التي ترجمنا الخطاب الاخير منها.

يسمحوا لي بقرعها ولو مرة واحدة.. مرة واحدة فقط..
القرية نفسها تسيح في ظلمة رمادية، بدأت تمحوها خيوط من الفجر لامعة، والناس في مراقدهم معقودي الاجفان، والطبيعة مستسلمة لحكم السكون، واذ بالاجراس تنطلق في ثورة يشق رنينها صمت الفضاء فيهب الناس من مراقدهم فزعين، وينهض الكاهن مشعث الشعر واللحية.. وينطلقون جميعاً وقد ملكتهم الرعدة يستطلعون جلية الامر.. فقد تضخمت هواجسهم وظنونهم.. فبينهم من عزا الامر الى وفاة عظيم او كبير، ومنهم من خالها تدعوهم الى اجتماع سريع خطير، ولم يستطيعوا مجتمعين ان يتوصلوا الى الحقيقة اذ بصروا بأبي عطا وقد امسك بالحبال باصابع انطبقت عليها بشدة وعنف وراح يهزها بعصبية بالغة فيهتز معها شارباه وطربوشه وكل عضلة من عضلات جسمه فيتعالى صوت الاجراس في زئير يصم الآذان، اختلط بصيحات عالية من ابي عطا، جذلة، بلهاء!!

سميرة عزام

هـذا الشخص . فنراه يبيع ملابسه بفرح مرتجف ويقوم باشغال اضافية هي نسخ السجلات ليلا ويقترض الدراهم، وكل ذلك ليشتري بعض الهدايا الحقيرة والحلوى والازهار لفتاته . لكن الشقاء واقف له بالمرصاد ، فملابسه قد تهرت وحذاؤه اصبح بدون نعل وهو خجل من الذهاب الى محل شغله وبربارا مريضة والجيران يرتابون في علاقاتهما والرجال بجوار غرفته يضحكون منه ويبتكرون مختلف الالقاب المضحكة للهزء به، وصاحبة النزل تقول عنهما : « ان اتصالهما اتصال شيطان بطفلة ساذجة .» وهو يكتب الى صاحبته يقول:

« اتعرفين اي شيء يهلكني يا بربارا ؟ انها ليست الحاجة الى الدراهم بل هي مشاكسات هذه الحياة . كل هذه الوشوشات وكل هذه الابتسامات الخفيفة وهذه الكلمات الصغيرة القارصة . . »

وكيف يحترمونه وحذاؤه بال وبذلته مثقوبة عند المرفقين؟ « لو لاحظ احد رؤسائي سوء حال بذلتي وعدم انتظام هندامي لحلت الطامة الكبرى يا بربارا ! انها ستكون مصيبة حقيقية ، اية مصيبة ..! »

وحدث ما كان يتوقع . فها هو رئيسه « صاحب السعادة » — كما يسميه — يطلبه ليوبخه على خطأ وقع منه عند النسخ، وها هو واقف امام رئيسه بحذر يكاد يقع مغمياً عليه لشدة خوفه واضطرابه، ولكن ماذا حدث ؟ لقد قفز زر من ازرار سترته — وكان مربوطاً فيها بخيط واحد — وتدحرج تحت اقدام الجنرال ! لقد انتهى الامر وقضي على سمعته قضاء مبرماً ! ولا شك ان رئيسه سيوبخه ويطرده في الحال. لكن « صاحب السعادة » يتأثر لمظهر هذا الكاتب التعس فيسأله عن حاله ثم يصافحه ويمنحه مئة روبل لكي يصلح هندامه . « اقسم لك بان هذه المائة روبل اقل قيمة في نظرى من اليد التي شرفني « سعادته » بمصافحتها ، انا الحقير الذي لا يساوي قشة من التبن ، انا السكير . . »

ذلك انه كان قد اعتاد على الشرب في بعض الاحيان ليصل الى « اعماق » بؤسه كما يقول ، ولكنه الآن قد اصبح غنياً يستطيع ان يقوم اعوجاج عموده الفقري عند السير . لكن ما اقصر امد سروره ! فقد حدث ان جاء الى سنت بطرسبورغ سيد على شيء من اليسار يدعى (بويكوف) وطلب بربارا للزواج . وهي ترضى به زوجاً لان المرض والفاقة قد استنزفا كل قواها ولكي لا تكون بعد الآن عبئاً على صاحبها المسكين.

وهنا يبدأ الشقاء الحقيقي لديوفشكين . فبربارا العاقلة الرصينة يستطيرها الفرح لشراء معدات جهازها ، وكان زوجها المقبل قد اعطاها مبلغاً من المال تشتري به ادوات زينتها وملابس عرسها ، وهي تحمل ديوفشكين بقسوة — لعلها صادرة عن سلامة طويتها — شراء هذه الاشياء المختلفة . وهذا المسكين الذي مزقه اليأس يكاد يفقد وعيه وسط معدات الزواج التي تسخره صاحبته لشرائها ، لقد كان حسن النية طيب القلب حتى السذاجة فنراه يركض يميناً وشمالا ويزور محلات بيع القبعات والجواهر وبائعي الفرو ويتخبط وسط هذه الزوبعة من المشتريات .

واخيراً يحل ميعاد الزواج ! وتكتب اليه تودعه وتتمنى له الراحة بعد العناء . وهنا نجد ديوفشكين الذي امسك نفسه عن الشكوى حتى هذا الوقت ينفجر بآلامه ويطلق الحرية والعنان ليأسه القاتل وشقائه الاليم فيندفع كالمجنون الى الورق يسجل عليه خطابه الوداعي الاخير . وأي خطاب! جمل لا رأس لها ولا نهاية . ولا عجب فهو يريد ان يعبر بسرعة.. وبسرعة عن مبلغ حبه لعزيزته بربارا وكم يترك رحيلها من فراغ وحشي في كل ما حوله وتنتهي القصة بهذه الصرخة الحادة التي يطلقها هذا المسكين في رسالته الاخيرة ، التي آثرنا ترجمتها بكاملها وها هي :

«حبيبتي بربارا . يا جوهرتي ويا فتاتي التي لا تقدر بثمن. ما اعجب انك الآن تكادين تبدأين السفر..وقد اوشكت على الرحيل ! الا ليتهم انتزعوا فؤادي من صدري بدلا من ان يختطفوك بعيداً عني . ولكن كيف يمكن ان تسمحي بذلك ! واعجباً انك تبكين ومع ذلك تذهبين ، وها اني قد تسلمت منك اللحظة رسالة مخلصة بدموعك ! انك اذن ترحلين مرغمة ولا بد انهم هاربون بك خلافاً لارادتك . لا بد انك حزينة لاجلي ولا شك انك . . انك تحبينني ! . . ومع ذلك فكيف ستسير الاحوال معك بعد الآن ؟ ان البرد الثلجي سيمس فؤادك بعد قليل فيصبح مريضاً كئيباً ، وبعد حين سيمتص الحزن حياة قلبك كلها بل سيقطعه الى شطرين . نعم انك ستموتين اينما تكونين وسيقتادونك الى الراحة الابدية في ارض رطبة باردة حيث لا يوجد أحد ينوح عليك . اما السيد بويكوف فسيكون مشغولا بصيد الارانب البرية ! .

آه يا حبيبتي ، يا حبيبتي ! لماذا انتهيت الى هذا القرار ! وكيف تحملين نفسك على القيام بهذه الخطوة ! ماذا عملت ، عملت ؟ بعد قليل سيحملونك بعيداً الى القبر وبعد قليل سيكون جمالك قد تدنس يا ملاكي ، آه يا اعز الناس لدي ، انك ضعيفة كالريشة . ولكن اين كنت (انا) طيلة هذا الوقت ؟ وبماذا كنت افكر ؟ لقد عاملتك تماماً معاملة طفل عنيد يقاسي آلام الرأس . ما كان اعظم جنوني ! اني لم ار ولم افهم بل تصرفت — ان خطأ او صواباً — وكأن الامر لا يعنيني باي حال اجل لقد طالما جريت وراء الاشياء التافهة ! .. آه ولكني عازم على ترك سريري ، وفي الغد سأنهض حتما سليما بصحة جيدة واكون انا نفسي مرة ثانية .. ايتها العزيزة ، ان بوسعي ان ارمي بنفسي تحت عجلات عربة مارة على ان اتركك تذهبين بهذا الشكل ، بأي حق يحدث هذا الامر ؟ . سأذهب معك ، سأركض وراء عربتك ان لم تأخذني — نعم سوف اركض واركض على قدر ما توجد في من قوة وحتى تتقطع انفاسي . اتعلمين الى اي مكان تذهبين ؟ لعلك لن تعرفي بل ستسأليني عن ذلك . ان امامك سباسب يا حبيبتي ولا شيء سوى السباسب .. سباسب عارية ، مجردة كراحة يدي . وهناك لا تعيش الا عجائز قاسيات القلب والا فلاحون غلاظ وسكارى . هنالك تكون الاوراق قد حتت اوراقها في مثل هذا الوقت ولا يوجد هنالك سوى المطر والبرد . فلماذا يتحتم عليك الذهاب الى هذا المكان؟ حقاً سيكون لدى السيد بويكوف ما يسليه ويؤنسه في تلك البلاد وسيكون بوسعه صيد الارانب البرية ، لكن انت ماذا يحدث لك ؟ اترغبين في ان تصبحي مجرد سيدة تملك العقارات والاطيان ؟ كلا ، انظري الى نفسك يا ملاك سمائي ، هل انت صالحة للقيام بمثل هذا الدور ؟ كيف تستطيعين تمثيله ؟ ولمن يجب علي ان اكتب رسائلي بعد الآن ؟ لمن يجب ان ارسل هذه الخطابات ؟ واي شخص اناديه « يا حبيبتي » ؟ وعلى اية واحدة اطلق اسماء التعزيز والتحبب ؟ في اي مكان استطيع ان اجدك ؟ اني ساموت يا بربارا عندما ترحلين — يقيناً اني ساموت لان قلبي لا يحتمل مثل هذا الشقاء . اني احبك كما احب نور الله واحبك كانك ابنة لي وقد كرست لك حبي باكمله ولم اعش الا لاجلك وحدك . وبسبب وجودك قربي وحده كنت اشتغل وانسخ المخطوطات واسر الى الورق بافكاري على شكل رسائل ودية . لعلك لم تكوني تعرفين كل ذلك ولكن هذا هو واقع الامر فكيف يتسنى لك يا حبيبتي ان تعملي على تركي ؟ كلا ، (يجب) الا تذهبي . ان ذلك مستحيل . انه مستحيل بصورة كلية باتة .

سوف يساقط المطر عليك وانت ضعيفة البنية وسوف تصابين بالبرد وسوف يقف الفيضان عجلتك . بل ما تكاد عربتك تجتاز حدود المدينة حتى تسقط متحطمة ، متحطمة بصورة مقصودة . فصانعو العجلات هنا في سنت بطرسبرغ لا يحسنون صنعها . نعم اني اعرفهم جيداً صناع العجلات هؤلاء . انهم صناع تجاريون يستطيعون صنع اللعب ولكنهم لا يحسنون صنع اي شيء متين. نعم اني اقسم بانهم لا يستطيعون صنع اي شيء متين .. ولم يبق علي ما استطيع فعله سوى ان ازحف على ركبتي امام السيد بويكوف واخبره بكل شيء . اخبره بكل شيء . اتخبرينه انت ايضاً بكل شيء وتحاجينه ايتها العزيزة ؟ اخبريه بانك يجب ان تبقي هنا وانك يجب الا ترحلي . آه ، لِمَ لم يتزوج من ابنة التاجر في موسكو التي تحدث عنها ؟ دعيه يذهب ويتزوج منها الآن . انها تليق به اكثر منك جداً لاسباب اعرفها انا جيداً ! وعندئذ استطيع الاحتفاظ بك . من يكون السيد بويكوف هذا عندك ؟ ولماذا اصبح فجأة عزيزاً الى قلبك الى هذه الدرجة ؟ ألانه يستطيع ان يشتري لك كل هذه السفاسف ؟ وما هي هذه الاشياء ؟ ما فائدتها ؟ انها تافهة لا تعد الا من سقط المتاع . الاحرى بالمرء ان يعنى بالحياة الانسانية بدلا من هذه الزينة المحضة . ومع ذلك فان في نيتي ان اشتري لك معطفاً جديداً حالما اتسلم قسط مرتبي القادم . واني اقصد شراءه من مخزن اعرفه جيداً وما عليك الا ان تنتظري حتى استحق مرتبي القادم يا بربارا ! آه ، يا لله ، يا الهي ! ان افكر بانك ذاهبة بعيداً عني الى هاتيك السباسب مع السيد بويكوف وانك راحلة ابداً بدون عودة ... كلا ، كلا ولكنك من المؤكد ستكتبين لي . ستكتبين لي رسالة حالما تبدأين السفر وحتى لو كانت رسالتك الاخيرة. ومع ذلك فهل ستكون هذه رسالتك الاخيرة يا اعز الناس لدي ؟ كيف حدث بهذه الصورة الفجائية الباتة ان اصبحت هذه الرسالة رسالتك الاخيرة ؟ كلا ، كلا . لا شك اني ساكتب وانت سوف تكتبين . نعم ، الآن وقد بدأ اسلوبي في التحسن اخيراً . اسلوبي ؟ ولكني لا اعرف

ماذا اكتب ؟ لا اعرف مطلقاً ماذا انا كاتب . ليس في امكاني ان اعرف ذلك لاني لا اقرأ ابداً ما اكتب ولا اصحح املاءه اني في هذه اللحظة اكتب لمجرد الكتابة ولكيما اترك كل ما استطيع تركه في هذه الرسالة الاخيرة من رسائلي ...

آه يا اعز الناس عندي ، يا مدللتي ويا حبيبتي الوحيدة !»

هذ هو ختام الرسالة وبها تنتهي قصة «القوم المساكين» والذي لا شك فيه هو ان دستويفسكي قد استوحى قصته هذه من اقصوصة «المعطف» لجوجول . فهذا الموظف المسكين الغريب الاطوار الذي نشأ على احترام رؤسائه والتولع بنسخ المخطوطات ، هذا الذي يهزأ منه اصحابه ويكاد الحرمان يفقده عقله بينما هو يتقبل بوداعة انجيلية كل شيء ويستسلم الى كل شيء . هذا الرجل ما هو الاخ الثني (لا كاكي اكيفتش) الذي خلد جوجول صورته .

غير ان الذي يلاحظ هو ان بطل جوجول كان رجلا مضحكاً يثير الشفقة ولا يستلفت النظر الا بعجزه الكامل . بينما نجد ان ديوفشكين بطل دستويفسكي يثير الاعجاب من بعض النواحي ، فاحسانه واخلاصه وهذا الكتمان الذي يحيط به شقاءه ، كلها صفات ذات سمو اخلاقي نادر المثال . ان السخرية لا تقتله بل تستثير صفاته وان وضاعته لتقف على تخوم القلب من دون ان تجرأ على الدخول اليه . انه يتألم وهذا الالم هو الذي ينقذه من الصورة الهزلية التي توشك ان ترتسم في ذهن القاريء عنه .

وهنالك في القصة شخصيات ثانوية رسمها دستويفسكي ببراعة منقطعة النظير ، اهمها والد الطالب بوكروفسكي المصاب بالسل . فهذا العجوز ، السكير ، الكذاب ، الدنيء يملك عليه شغاف قلبه حنان هلوع لابنه وهو يحترم دراسته واستقلاله ، ونحن نراه ينظر بشيء من التقديس الى الكتب الكثيرة المبعثرة في كل مكان من غرفة ولده . انه هو الآخر قد افتدته محبته وخضوعه من الرذائل التي يتقلب في حمأتها .

وهنالك جورتشكوف ، احد مستأجري النزل الذي يقيم فيه ديوفشكين ، وقد تورط هذا الرجل في محاكمة جعلت شرفه ومستقبله وثروته في كفة الميزان . ثم تصدر المحكمة حكمها بتبرئة ساحته فلا يتمالك نفسه بعد صدور الحكم من ان يتفوه امام الناس الذين يصادفونه بكلمات غريبة «شرفي ، الشرف ، السمعة الحسنة ، اطفالي» ثم يموت في نفس الليلة من شدة الانفعال والفرح .

وهكذا فاننا نجد في حياة دستويفسكي الاولى هذه خطوطاً رئيسية قوية لشخصياته الفذة التي ستظهر في رواياته الخالدة بعد حين . اذ تكاد تكون شخصياته كلها موجودة في هذا الخلق الاول وان كان دستويفسكي قد اكتفى بالاشارة الى صفاتها الرئيسية فقط . كان المؤلف لا يزال في دور المحاولة وكأنه رسام بالالوان المائية ، يجرب الوانه ويخلطها في اسفل قطعة القماش . انه بعد مدة من حياته سيتسلح بالشجاعة وسيرى بصورة اعظم ! وعندئذ ستظهر من لوحة الالوان هذه ـ القوم المساكين ـ التي حضرها بعناية فائقة ، تلك اللوحات الكبرى وستولد من هذه الالحان المترددة الحائرة تلك السمفونية العجيبة « الاخوة كارامازوف » . كان من الضروري لكيما يحقق دستويفسكي تلك الاعمال والمؤلفات الهائلة ان يستيقظ على موضوعات فنه الجوهرية . فديوفشكين وبربارا ما زالا محدودين بنفسيهما وهما بحاجة الى سماء فوق رأسيهما وظل تحت اقدامهما . انهما يتألمان ولكن آلامهما اخلاقية مادية اجتماعية . انهما يجهلان القلق الميتافيزيقي ويعيشان في عالم «اثنين في اثنين يساوي اربعة» ولم يتعلما بعد التساؤل عن معنى الحياة . هنالك شخصية ميتافيزيقية غائبة عن الميدان : هي الله . وقد كان من الضروري لدستويفسكي ان يعاني تجربة الاعدام والنفي الى سبريا لكيما تظهر هذه الشخصية الهائلة في الميدان الخلفي للعالم الدستويفسكي .

* * *

ومهما يكن من امر فقد كان جريجوروفتش ، اثناء سماعه قصة «القوم المساكين» ، منفعلا اشد الانفعال . لقد بدرت منه صرخات الاعجاب مرات عديدة وحاول غير مرة ان ينهض ويصافح صديقه فيدور ميخايلوفتش ، غير ان دستويفسكي بقي جامداً يتابع قراءة القصص بصوته الكئيب الذي يؤذي السامع . ثم ما كاد ينتهي من قراءة آخر جملة من كتابه حتى ارتمى جريجوروفتش بين ذراعيه والدموع تسيل من عينيه وتوسل اليه ان يأتمنه على مخطوطته ليسلمها الى الشاعر (نكراسوف) الذي يفكر في اصدار مجلة ادبية . لقد وثق جريجوروفتش من نجاح هذه القصة وتنبأ ان سيكون لها شأن اي شأن !.

نهاد التكرلي

بعقوبة ـ العراق

قنوط

❖

اقول اذهبي
فيرتعد الصمت فوق الستار
وينكمش النور نحو الجدار
وتعيا يدي
على سفح متكأ مجهد
تلملم ظل التفات ندي
ويمضي الصباح
يغل واياه ألف جناح
ويطلق في عتماتي الطيوف
خطاً تتهالك خلف السجوف
وفي كل باب
وجوه تطل وراء نقاب
وطن ذباب
يمد بأفواهه في التراب
ويدنو الخريف
ويخبو السراج
ويرسم في الليل حس السياج
وجوها تشنج خلف الزجاج
تهز الرتاج
اصابع مقرورة في السكوت
وراء مدى الحس كالعنكبوت
تشد الخيوط
وتبسطها حزمة من قنوط

بغداد صفاء الحيدري

فجر

❖

اوما الفجر ، وهل فجرك ، غير الذكريات؟
ماج بالفتنة مخمورا ، فاجت امنياتي
واستفاق البلبل الفريد ، حلو النغمات
والغدير الشارد الهيمان ، موصول الشكاة
ارسل الهمسة كالطيب ، فسالت اغنياتي
تملأ السفح نشيدا ... ولحونا
وتغنيه وعوداً ... وحنينا

والهضاب السمر ، وشاها الندى فهي اخضرار
وتهاليل عشيات ، ولهو ، وافترار
لفها الفجر ، ففي جفن الدجى ، منه ازورار
ايها الفجر ، ولي في الروض ، انغام حرار
كيف لا يذهل ايامي ، شوق واستعار ...؟
خلني يا فجر حلما ... من ضياء
واسقني وهما فوهما ... في المساء

ههنا في حضنك الوردي ، عانقت الحبيبا
وترشفت بعيني ، هوي الغيد رطيبا
ههنا اغرقت آلامي ، وشيعت الكروبا
غبت عن دنياي ، اسقيه الهوى ، كوبا فكوبا
ثم ماذا...؟ذهب الماضي، وهيهات لماض ان يثوبا
آه يا فجر غرامي ... كيف نبتا
كيف واريت هيامي... حين غبتا

انا لا اذكر من ماضي ، غير القبلات
انا لا اذكر من دنياي ، الا همساتي
حلم مر ، كأفراحي من افق حياتي
هات يا فجر ، تراتيل شبابي ، اليوم هات
واسقني من خمرة الحب كئوسا مترعات
انا ما زلت وفيا لحبيبي
ارقب العهد نديا...في الغروب

آه يا فجر ، وكم غنيتك الحب الشهيا ؟
يوم لملمتك اقداحا ، وخمرا ، وحميا
يوم اهرقت على عينيك ، حلما عبقريا
قلت للورد ، وللورد شحوب في المحيا
أيها الورد ، اما تنفك تغري مقلتيا ؟
هات من عطرك هات كأس خمر
وارو بالسحر لهاتي... اي سحر

طرطوس انور الجندي

من روائع الغناء

فردي

بقلم صميم شريف

لقد ذكرت في عدد يوليو ١٩٥٠ من « الاديب » نبذة عن حياة الموسيقار فردي وتعرضت لغنائيته (ريجوليتو) وسأتناول اليوم في هذه الكلمة غنائيته (اوتللو) عطيل .

ولا بد لي قبل ان اخوض في البحث، من التنويه بأثر الطبيعة الساحر ، وفعله في الموسيقى . ونلمس ذلك اذا قارنا بين غنائيات مؤلفي الشمال ، هايدن ، وموتزارت ، وواجنر وغنائيات مؤلفي الجنوب ، روسيني ، وفردي ، وبيزيللو .

فالفئة الاولى تعتمد على عنصر الموسيقى في التعبير عن الفكرة التي يراد اظهارها ، وغالباً ما تكون غامضة رغم وضوحها، وذلك نتيجة احساس المؤلف بجو الطبيعة الغامض الذي يحيط به ، فالسماء قلما تكون زرقاء صافية ، والغابات الكثيفة الرائعة تطبع في القلوب الغموض والرهبة والاعجاب، لهذا نجد تلك الفئة من المؤلفين تعتمد على الموسيقى في تعبيرها الغنائي اكثر من اعتمادها على الغناء .

وعلى العكس من ذلك في شبه الجزيرة الايطالية، والبلاد المتاخمة والمشرفة على البحر الابيض المتوسط، فالسماء صافية الاديم والطبيعة مليئة بصور الجمال المختلفة الخلابة ، والغناء هو الوسيلة الوحيدة المعبرة عن المشاعر بين جميع الناس وفي الاوساط المختلفة .

ومن هذه الاسباب البسيطة المجتمعة يمكننا ان نتبين الفرق الواضح بين عذوبة الحان الجنوب وبساطتها ، وقوة موسيقى الشمال وعمقها .

« عطيل »

تجري حوادث هذه المسرحية في جزيرة قبرص وهي تتألف من اربعة فصول الفها الشاعر الانكليزي شكسبير ونهج في طريقة تأليفها الناحية الدراماتيكية التي اشتهر بها . وقد استغرقت وقتاً طويلا من جهد فردي الذي قام بتلحين هذه المسرحية الخالدة ، بعد ان هيأ لها الكاتب المسرحي المعروف بواتو ، ملخصاً غنائياً وقد جرى تمثيلها للمرة الاولى في دار الاوبرا الملكية في مصر عام ١٨٧٥ من فرقة الاوبرا الايطالية وهذه الغنائية الفت خصيصاً لمصر بناء على طلب الخديوي اسماعيل . وهي من الغنائيات التي يندر تمثيلها لان دور المغني ذي الصوت « التينور »* من الادوار البالغة الصعوبة ،وفي ايطاليا نفسها لا يكاد يتجاوز عدد من يستطيعون القيام بهذا الدور اصابع اليد .

ويمكننا ادراك صعوبتها اذا علمنا بان تمثيلها للمرة الثانية جرى على مسرح سكالا في مدينة ميلانو عام ١٨٨٧ . اي بعد مرور اثني عشر عاماً على تمثيلها الاول .

***

تتلخص هذه المسرحية الرائعة الموسيقى والتمثيل والغناء في ان الفارس المغربي الوسيم عطيل يتزوج من ديدمونة وهي فتاة من اجمل نساء البندقية واعرق اسرها. كما استطاع ايضاً بفضل مواهبه وذكائه ان يشق طريقه بين اقرانه حتى توصل لقيادة جيش البندقية الذي كان مبحراً لجزيرة قبرص .

وكان مرافقه الخاص في هذه الرحلة وموضع ثقته ياجو وهو ضابط خبيث الطوية ، فاسد الضمير ، يحقد على سيده ، ويضمر له الشر ، لانه تزوج من ديدمونه التي كان يتوق للزواج منها اولا، ولان عطيل اصبح قائداً اعلى من جهة ثانية.

وبدأت نياته السوداء تظهر منذ استقر بهم المقام في قبرص وعلم بان قائده قد ولى امور زوجه وشؤونها ضابطاً شاباً يدعى كاسيو كان قد عين مساعداً لعطيل في شؤون القيادة ، ذلك المنصب الذي كان ياجو يحلم ويمني النفس به .

واخذ بتنفيذ خططه الدنيئة المبنية على الحقد بالتقرب من كاسيو عاقداً النية على ان يجعل منه أداة لتنفيذ خطته البشعة التي تتلخص في اقناع عطيل بوجود صلة غرامية بين زوجه وكاسيو الجميل ، ولهذا راح يغري كاسيو بالانغماس في الملذات

* التينور : هي الطبقة العالية والحادة في اصوات الرجال الغنائية.

والشراب اثناء قيامه بواجبه في الاشراف على الحراسة ، مما ادى الى شجار عنيف وقع بينه وبين مونتانو القائد المتقاعد في قبرص . وكان ياجو قد دبر هذا الامر بحيث يتم وقوعه امام عطيل الذي ظهر فجأة ، والذي انتابه الغضب لما رأى فاصدر امره باقالة كاسيو من منصبه .

فهرع ياجو الى كاسيو مبدياً عطفه ومتظاهراً بصداقته ومحبته مبيناً له بأنه اذا اراد استرداد منصبه ما عليه الا ان يتلمس ذلك عند ديدمونه لان زوجها يحبها ولا يستطيع رفض ما تطلب .

وكان لياجو زوجة تدعى اميليا تعمل وصيفة لديدمونة استطاع بواسطتها أن يحصل على موعد لكاسيو معها .

وتمت المقابلة ، واظهرت ديدمونه عطفاً كبيراً على كاسيو ووعدته بالمساعدة عند زوجها . وما كاد يسمع هذا حتى خر راكعاً وتناول يدها يمرغها بقبلاته وقد هزته اريحتها في اللحظة التي فتح الباب ودخل فيها عطيل ليشاهد هذا المنظر الذي دبره ياجو بكل حرص وحذر .

وبدأ الشك طريقه الى قلب عطيل في اخلاص زوجه حين بدأت تستدر عطفه على الضابط الشاب لارجاعه لمنصبه . كما استولت عليه الغيرة ، والهبته تلك المعاني الغامضة التي كان يطلق عباراتها المزوقة والمنمقة الخبيث ياجو فكانت تحمل في طياتها العطف على طلب زوجه تارة ، والنيل من اخلاصها له تارة اخرى ، مما ادى الى اشتداد غضبه .

ولم يكتف ياجو بهذا ، بل اغرى زوجه بسرقة المنديل الحريري الذي تملكه ديدمونه وهو منديل مطرز وموشى بزخارف غريبة نادرة .

ولم تخيب اميليا طلبه ، فما كاد منديل سيدتها يسقط منها مصادفة ، حتى التقطته وخبأته ثم اعطته الى زوجها الذي كان يحيك مكيدة جديدة يتم بها حلقات المكائد السابقة .

ويستغل الامر حين يجتمع ياجو بعطيل لينبئه متظاهراً بالاسف والندم ، بان زوجه ما زالت مستمرة على الاجتماع بكاسيو وانها ذهبت في اثمها الى ابعد من ذلك ، فاهدته منديلها الحريري الرائع .

ويتحكم عطيل باعصابه امام ياجو ، ويتظاهر بعدم الاهتمام ، ويتركه وينصرف ، ولكنه لا يكاد يرى زوجه حتى يصرخ في وجهها متهماً اياها بالخيانة ومتوعداً وطالباً اليها ان تغرب من امامه .

وتفاجأ ديدمونه باقوال زوجها فيعقد لسانها البكم ، وتقضي ليلتها مضطربة لا تغرب عن تفكيرها نظرات زوجها التي تحمل في طياتها القسوة والرهبة .

وتمر الايام والشهور والجفاء يزداد يوماً بعد يوم بين الزوج وزوجه لان ياجو كان لا يدع الفرص تفوته ، فكان يشد في ازر الوقيعة كلما فترت ، فتطورت الامور تطوراً خطيراً وانقلب عطيل الى شخص آخر فقد زمام نفسه وتغيرت طباعه حتى باتت الحياة معه لا تطاق .

وتأكدت شكوك عطيل حين عاودت الزوجة الشابة التأكيد على زوجها باعادة كاسيو لمنصبه ، وحين عثر على منديله الحريري النادر الذي اهداه الى زوجه ابان خطوبتهما بين امتعة كاسيو ، فأخذ يفتش عنها يود قتلها ، ولكن الوفد القادم من حكومة البندقية جعله يرجىء التنفيذ الى ما بعد

كان الوفد يحمل لعطيل امراً بالعودة الى البندقية وتولية كاسيو مكانه .

وزاد في سخطه وحقده ان زوجه ارادت قبل سفرها ان توصي الوفد خيراً بالضابط الشاب راجية ان يسترد مكانته التي فقدها اثناء وجود زوجها ، فاوغر هذا صدر عطيل وثارت ثائرته ، وصفعها امام الوفد صفعة قوية القتها على الارض ثم ما لبث ان خر مغشياً عليه .

احست ديدمونة وايقنت بالخطر الذي يتهددها ، فآثرت الانزواء في غرفتها تلك الليلة دون ان تفارق تفكيرها تصرفات زوجها الشاذة ، وظلت هكذا اسيرة النوازع المختلفة متلهفة لكل خبر دون جدوى .

اما اميليا فقد اخذت تساعدها على تبديل ملابسها وتبعد عن رأسها الاوهام، لكن جهودها ذهبت ادراج الرياح حين حاولت تهدئتها ، وتبديد حزنها ويأسها ، ثم لم تلبث ان اصاخت السمع الى ديدمونة التي كانت تغني اغنية حزينة قديمة كانت امها ترددها وهي على فراش الموت .

انصرفت ديدمونة حين غدت وحيدة الى الصلاة ثم آوت الى مضجعها وراحت في نوم عميق .

وبعد قليل تسلل عطيل بهدوء شاهراً سيفه بيده، وتومض عيناه ببريق مخيف تبعث الفزع واقترب من فراشها ، ثم رفع يده وارتعش ، وانتابه الارتياع حين شاهد الطهر يشع من

العصفور المقطوع اللسان

قصة من ادب اليابان مترجمة عن الانجليزية

بقلم مبارك ابراهيم

يحكى ان رجلا ممن تقدمت بهم السن كان يعيش وزوجه بين الجبال في بلاد اليابان وكان عيشه ليس بالعيش السعيد . ذلك لان امرأته كانت تكبره في السن . وكانت سيئة الخلق الى حد ليس بعده زيادة لمستزيد . وكانت لا تفتأ تغلي مراجلها وكأنها بركان يقذف باللهب، ويرمي بالحمم وكانت الى ذلك تكاد تقتلها الغيرة .

وكان المسكين زوجها يقنع من دنياه بصاحب واحد . وذلك الصاحب الواحد هو عصفور لطيف . ولكن هذا العصفور لم يسلم من اذى تلك المرأة وعسفها .

فقد حدث ذات يوم ان خرج الشيخ الى الحقول ، وترك زوجته منكفئة فوق طشت الغسل . وكان يوم البؤس عندها هو يوم الغسل هذا . فهي تزداد فيه غلظة وفظاظة . ذلك لان متاعب الغسل كانت تنقض ظهرها . وقد كانت صنعت في ذلك اليوم مقدارا من النشاء ووضعته في اناء ليبرد . فلما جاءته الفت العصفور اللطيف المدلل وقد حط فوق الاناء ، والتهم ما صنعته التهاماً . فأغاظها هذا الفعل منه واحنقها . فجاءت بمقص، وقطعت طرف لسانه . وقالت مدمدمة : والآن فلتذهب الى غير رجعة !

والقت بالعصفور المسكين ، ولسانه يقطر دماً الى حيث تلقفه الفضاء . فدار المسكين حول نفسه دورة او دورتين ثم طار وقد نال منه الحزن والاسى .

ولما عاد الشيخ الى بيته امضه وارمضه ما فعلته امرأته بالعصفور . وظلا يتعاركان حتى مضى الليل الا اقله . ولكن ماذا يجدي العراك وقد نفذ السهم . فقد مضى العصفور وقد قطع نصف لسانه . واصبح حتما على الشيخ ان يوطن نفسه على عيش الوحدة والعزلة . فلا طير . ولا طفل . ولا خليل . ولا صاحب . غير تلك المرأة الصخابة النقاقة .

ثم مضت شهور وشهور . وذهب صاحبنا الى الجبال . واذا به يسمع عصفوراً يزقزق . ويغرد ويقول في تغريده : صباح الخير ! وكان هذا العصفور عصفوره الذي فقده . ولكنه اصبح عصفوراً قد اختلفت طبيعته . ذلك لان قطع طرف لسانه قد اصاره قادراً ان يتكلم كما يتكلم الناس .

وما لبث الشيخ وصاحبه العصفور ان احنى كلاهما هامته لصاحبه . وما لبث ان تبادلا التحية على الطريقة اليابانية المهذبة . ثم ثنى العصفور بالرجاء ان يجيء الشيخ لزيارته ليريه زوجه و بناته .

وجهها البريء ، فلم يملك الشجاعة لاغماد سيفه ، وتبخرت ارادته ، فالقاه جانباً ، ولم يجد نفسه الا وهو يميل عليها ثم يلثم شفتيها بهدوء .

وهبت ديدمونه من نومها فزعة وقد ضاعف ذعرها نظرات زوجها المخيفة الوحشية فتحرك لسانها في فمها تسأله عما ينوي ان يفعله .

فسألها في حشرجة خشنة اذا كانت قد ادت صلاتها ، فأجابته وقد ادركت ان منيتها قد حانت بانها فعلت ذلك ، ثم بدأت تستدر شفقته وعطفه مؤكدة له بانها بريئة مما ينسب اليها . ولكن تضرعاتها ذهبت ادراج الرياح حين انتزع الوسادة من تحت رأسها ، والقى بها على وجهها كاتما بها انفاسها ، وشالا حركتها ، في الوقت الذي عادت به اميليا تستأذن سيدتها الدخول بقرع خفيف ما لبث ان اشتد ، وقد ساورتها الريبة في امر السكون المخيم على الحجرة .

ودخلت الغرفة حين كان عطيل يرفع الوسادة عن وجه زوجه التي كانت تعالج القول محتضرة بانها تموت بريئة .

جمدت اميليا برهة ثم انطلقت زعقاتها في اجواء القصر تطلب النجدة ، فاقبل رواده والخدم على صراخها ، ولم تلبث ان ركزت انظارها في زوجها ياجو واخذت تفضح مكائده لاهثة ، ولما لم يستطع ياجو ان يرغمها على الصمت ، استل خنجره واهال عليها طعناً حتى سقطت تتضرج بدمها، والقي القبض عليه ليلقي جزاء آثامه .

وهال عطيل ما فعله بزوجه حين تبين براءتها ، وتمكنت منه ثورة نفسية ، فلم يشعر الا وقد تناول سيفه واغمده في قلبه ، ثم نظر نحو ديدمونه وهو يتلاشى وسقط بجوارها ضاماً اليه ثوبها .

وبعد فهذا اثر آخر من آثار نابغة الغناء فردي ، لقد عرف منذ بدأ اسمه يلمع بانتقائه للمواضيع المثيرة الشيقة ، التي يحتاج اخراجها الى جهد كبير .

دمشق — صميم شريف

ولم تكن دار العصفور بعيدة. فقد كان يعيش واهله في بيت لطيف. قوائمه من خيزران. يتمنى الناس ان يكون لهم مثله. وقد حفت بالبيت حديقة صغيرة. تتراءى فيها مساقط الماء. وتقوم في جنباتها المراقي من الحجر.

واعدت «السيدة العصفورة» عدتها للترحيب بالضيف. فصنعت الواناً من الحلوى. وجاءت باطباق من العسل المصفى

ثم عنيت كبرى البنات باعداد الشاي الفاخر. وقدمته. وهي تجثو على ركبتيها في ظرف ولباقة.

وقالت «السيدة العصفورة» للشيخ: اني اعتذر عن تقصيرنا يا سيدي، وعذرنا انه لم يكن في الوقت فسحة لنعد ما يجب اعداده.

وذهل الشيخ لما رأى من مظاهر البذخ. وسر لما لقي من حسن اللقاء. وشرب الشيخ من الشاي اكواباً. والح عليه مضيفوه ان يبيت ليلته عندهم فرضي ثم اعقبت تلك الليلة ليال.

وكان العصفور وزوجه يعيشان عيشة مثالية. فاذا اصبح الصبح قضى الرجل نهاره في العناية بحديقته حيناً. وفي لعب الداما مع ابنته الصغرى احياناً.

واذا اقبل المساء جاءت زوجه الى الحديقة. واعدت اطايب المأكول والمشروب وظلت تضرب على العود. وظل الزوج وبناته يرقصون. وظل الشيخ ينظر اليهم فينسى زوجه. وينسى بذلك همومه.

وفي اليوم الخامس احس الشيخ انه قد طال ثواؤه بينهم. وان عليه ان يرحل فبدا الحزن على محيا «السيد العصفور» ولما لم يكن من هذا الرحيل بد فقد الح على الشيخ ان يقبل منه هدية التوديع. وجاءه بسفطين. احدهما ثقيل الوزن. والآخر قد خف ميزانه. وقال للشيخ اختر لنفسك واحداً منهما تذكاراً لزيارتك.

ولم يكن الشيخ طماعاً. ولذلك فقد اختار السفط الذي خف وزنه وتبادل ومضيفيه عبارات الشكر والتوديع.

وقد يخطر ببالك ان زوج الشيخ قد قلقت لغيابه. وانها سرت لاوبته. ولكن الامر كان على العكس. فما كاد يجتاز باب البيت حتى طفقت توسعه سباً ولعناً على اهماله لها.

وحاول الرجل ان يسكتها حتى يقص عليها اعاجيب رحلته. وبعد لأي استطاع ان يريها السفط. فلما رفعت وزوجها الغطاء رأيا منظراً عجباً. فقد كان هذا السفط مملوءاً ذهباً وفضة. وكان فيه اللؤلؤ والمرجان والعنبر! وكان فيه طاقية الاخفاء. وكان فيه كتب التعاويذ التي تنيل الانسان كل ما يريد. وكان فيه كيس لا يفرغ منه المال. مهما انفق منه المنفقون!

وما ان رأت زوجه هذه الكنوز حتى تبدل عبوسها نظرات تنبىء عن الطمع الشديد. وقالت: اني لا بد ذاهبة فلاقية اسرة العصافير.

وحاول الزوج ان يصدها عن غيها فما استطاع الى ذلك سبيلا. على الرغم مما ابانه لها من سوء المغبة.

وسارت الى بيت اسرة العصافير وقد اعمى بصيرتها الجشع. وكانت تنتعل قبقابا من القش. وتحمل مظلة من الورق

وكان الشيخ قد انبأها كيف سار الى بيت صاحبه. فما ضلت صاحبتنا الطريق.

ولما وصلت حاولت ان تبدو - بقدر الاستطاعة - امرأة مهذبة. ولكن كان ذلك عليها عسيراً.

ولم يكن السيد العصفور مسروراً بلقائها. ولكنه - على الرغم من ذلك - دعاها لتتناول كوباً من الشاي. وغابت عن الاعين «السيدة العصفورة» وغابت كذلك بناتها. وكأنهن قد الهمن ان زيارتها لم تكن زيارة بريئة. وانها لذلك لم تكن مستحبة.

فلما فرغت من شرب الشاي. نظرت فرأت ان لا امل في أن يهدي القوم اليها شيئاً. وعلى هذا تقدمت هي تسأل ان تهدى لها هدية! فنظر «السيد العصفور» الى اسفل ولم يقل شيئاً. ولكنه دخل بيته وعاد منه بسفطين يشبهان ذينك السفطين اللذين قدمهما هدية للشيخ. فأخذت المرأة الجشعة - وقد اعماها الطمع - السفط الثقيل. وسارت في طريقها قدماً. دون ان تنطق بكلمة من كلمات الشكر والتوديع.

وحملت سفطها في زهو المنتصر. وجاءت بيتها وهي تلهث اعياء. ذلك لان السفط كان ثقيل الوزن جداً.

وقالت لزوجها: يا لك من احمق اتترك السفط الثقيل وتجيء بالسفط الخفيف؟ ان سفطي يزيد في الوزن ضعفين عن سفطك! ثم كشف عن سفطها الغطاء. ويا لهول ما سمعت ورأت! ففي السفط الذي جاءت به تلك المرأة الجشعة المجنونة افاع يسمع لها صفير وفحيح. وبدلا من ان تلقى اللآلىء والذهب لقيت اسوأ الانواع من السمك الحبار. ثم نظرت فرأت العفاريت من الجن تؤز أزاً كأنها الزنابير.

وبينا هي تنظر وقد عقد الذهول لسانها، رأت حية بشعة المنظر وقد كسا الشعر جلدها. وقد تطوقت على عنق المرأة. وظلت تضغطها ضغطا شديداً حتى اختنقت المرأة وماتت.

وما سعت الحيات والافاعي بعد ذلك ان تمس الشيخ بالاذى. وقد اصبح صاحبنا بعد هلاك زوجه ارملا ثريا. فاشترى لنفسه قصراً مشيداً. وتبنى ولداً ليكون قرة عين له في شيخوخته.

وظل الشيخ طول حياته يسدي الى ولده - بالتبني - النصح. وقد حبب اليه الفضيلة. وكره اليه الرذيلة..

القاهرة مبارك ابراهيم

خليل مطران شاعر التحول الفني في الشعر العربي

بقلم نسيم نصر
مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

الحركة التطورية في الادب، التي التمع ضوؤها باهراً في الغرب، منذ بضع مئات من السنين، بقيت منقطعة الاسباب، عن هذا الشرق، حتى منتصف القرن التاسع عشر، اذ اخذت طلائعها تجد طريقها الى تسيير لغة العرب في قوافل لغات النهضة الحديثة من فرنسوية وانكليزية والمانية وغيرها.

منذ ذلك الحين نشأت حركة تماس بين الاستمرار الشرقي والتجدد الغربي، فبرزت، في مرحلة الزمن المشتملة على الربع الاخير من القرن التاسع عشر والربع الاول من القرن العشرين، فئة من الشعراء العرب جابت قوافيهم البلاد العربية، وقرنت اسماء نخبة منهم بالقاب من التقدير والاعجاب هم لها او لبعضها مستحقون.

ولم يستطع باحث ادب اومستيقظ فن ان يطمئن الاطمئنان كله الى مقام اولئك الشعراء في طريق النهضة العالمية الجديدة المعروفة بالابداعية، فلقاح الاستمرارية العربية في شعرهم، بقيت مؤثراته التقليدية بينة الوجه طاغية العنصر. وان شئت جماع القول النقدي، قل انهم انشأوا جسراً واصلا بين القديم والجديد، ولكنهم لم يتحولوا الى نهج فني خالص بالمعنى الحديث الصحيح. ولقد كان في استطاعة بعض الذين انشأوا هذا الجسر، في مطل القرن العشرين، ان يكونوا جياد الفن الشعري المستيقظ على نور الدنيا الجديدة، ولكنهم، لامر ما، اكتفوا بالوصل دون الاهتمام بوضع الاصل.

من بين هؤلاء قام شاعر الى مضمار الحضارة المحدثة عالماً طاغياً على معالم القديم، متحولا كل التحول عن اساليب الاتباعية الى نهج ابداعي تنبض فيه الحياة زاخرة وتتماسك فيه الحقائق ويوشيه الخيال، هو خليل مطران.

ولا بد من الاشارة قبل عرض مطران شاعر تحول فني، الى ما تعرض له، وهو يشب الى آفاق نهجه الحديث، من تقول الاستمراريين والمحافظين والمقلدين، ولكنه كان يعرض عنها اعراضة الواثق من كفاءته المهيء من مواهبه «شعر المستقبل» عارفاً ان معركة القديم والجديد ليست جديدة في دنيا الشعر، وان الخارجين على المالوف او عنه في نهضتهم، في كل زمان ومكان، أثاروا عداوات كانت لا تلبث ان تذوب كما تذوب اسطوانة الشمع تحت شعلتها المنيرة.

خليل مطران، ابن مدينة الشمس، بعلبك، كان من اجدر شعراء العربية تحولا الى الماضي وانطواء على الامس البعيد تغنياً بالآثار الخالدة نصباً صامدة في وجه الفناء صمود جلالة وروعة ومهابة. ولعله من الخير ان نتلمس اولا تحوله الفني في صوغ قوافيه في وصف قلعة بعلبك، احدى بكارى الهندسة المعمارية في العالم.

أليست الحياة عنصراً رئيسياً في الشعر يتناوله الخلود؟ وهل يسمو الفن النحتي الى ارفع من ان يعرض لك منحوتاته ودماه مهمة بالنطق؟ وهل يحلم الشاعر بادق من الصورة القلمية المؤتلفة الاجزاء لتشب الى العين كانك تمد يدك اليها؟ فاسمع مطراناً يقول:

صنعوا من جماده ثمراً يجنى ولكن بالعقل والابصار
وضروبا من كل زهر انيق لم تفتها نضارة الازهار
وطيوراً ذواهبا آيبات خالدات الغدو والابكار
في جنان معلقات زواه بصنوف النجوم والانوار
واسوداً تخشى التحفز منها ويروع السكوت كالتزآر
عابسات الوجوه غير غضاب باديات الانياب غير ضواري
في عرانينها دخان مثار وبالحاظها سيول شرار

وادل ما فيها، على استكناه الصورة، بلوغه مكامن الحياة في الوصف، اذ انتهى بقوله عن وثنية بناة هذه القلعة.

«نحتوا الراسيات نحت صخور، وأبانوا دقائق الافكار
واجادوا الدمى فجاز عليهم انها الآمرات في الاقدار»

فهذه الغاية ليست الصورة مستدقة الشكل فحسب، بل وما وراء الرسم من فكر وخيال يتغلغل الى لب الموضوع فيبث في جماده الحياة.

وليس في الادب اوضح اشارة الى علو شأوه من تماسك الاديب في وحدة موضوعية تجعل من منظومه او منثوره مخلوقاً فكرياً متناسب الاجزاء متناسق التأليف مؤتلقاً بملامح الجمال الابداعي، كما هي الحال في الكثرة من شعر مطران.

وانه اذا عمد الى الطرافة المصورة، في مثل هذا الخلق جاءك بمثل قصيدته «عين الام» او «المرآة الناظرة»، فبعد ان يقول:

«حسناء أمرها الجمال فأنشأت في ايكها الاطيار تخطب باسمها».

ينطلق كالجدول المترقرق على حصباء القاع مخجلا مفاتن

الروض ، في ابهى ما تكون ، بمحاسن غادته ، يجلسها قبالة امها منشورة الضفائر ، ايام كانت الضفائر زينة الحسان ، وهي لا تستطيع ان ترى اسباب جمالها دون مرآة ، فيخلص الى غاية موضوعه بقوله :

«فدنت تحاذي امها وتناظرت بعيونها وجلت سحابة همها
وكذا الفتاة اذا اضلت ساعة مرآتها نظرت بعيني امها»

واما فريدة هذا الباب من الشعر الموضوعي في الوصف الدقيق ، المستبطن منازع ومشاعر مصفاة منساقة في اعجاز فهي قصيدته « عصفورة على شجرة » ارسلها من جوار تمثال جان جاك روسو دليلا ناطقاً بان احاسيس الشاعر الكبير اذا صهرت في بوتقة فنه الخالد جرت كالاعصار شدة وكالنسيم رقة تهصر بعصفها وتنفخ اريجها كما يشاء الخيال المثقف والقلم الرسام والفكر الخالق .

ولعله من الخير ، وهي لا تفاوت في قيم ابياتها الرائعة ، ان نجتزىء فنلمع الى لباقة الشاعر المحلق يستعبر قارئيه العرب ، تضامن اسراب الطير في رحيلها ، من بلاد الى اخرى انصياعها لنظام تذوب فيه ارادة الفرد في خير الجماعة ذوباناً يحلو فيه فن التوجيه الى الائتلاف والتعاون ، فينشد :

« السرب ما في السرب من عجب لذي قلب يعي
تنضم حين جلائه اشتاته في مجمع
من غير ميعاد تقدم للرحيل المزمع
آلاف آلاف بغير تلكؤ وتضعضع »

الى ان يقول : « كل يسير ولا يخالف في الطريق المشرع
كل يجاري رأيه والرأي غير موزع
كل كربان يدير زمام فلك طيع »

اما وصف هذا الطائر فهو آية في الشعر الوصفي المستدق :

« جسم كحق للحياة معرق ومضلع
يغشاه ثوب دبجت الوانه يد مبدع
المتن يزدهر ازدهار الاخضر المتجمع
والصدر فيما دونه يزهى باحمر مشبع
والجيد زين من النضار بحلية لم تصنع
دع كل نقش في الخلال موشم ومبقع
ودع القوادم تستقل بريشها المتنوع
آيات خلق من يجل نظرا بها يتخشع
لولا الحراك لخيل من ثمر هنالك مونع »

ارأيت كيف انتهت هذه الصورة الى الانسجام الفني بين الحياة والطبيعة ؟ فالطائر ، الماثل في هذه اللوحة ، لولا الحراك « لخيل ثمرة يانعة » ، وفي وصف قلعة بعلبك انتهى الى الانسجام الفني بين الطبيعة والحياة ، فالدمى الجامدة المنحوتة جازت على ناحيتها « انها الآمرات في الاقدار » .

واني لاعجب ، في شعره ايضاً ، بالفكرة المصفاة صادرة عن شاعرية ادركت ، بعون العلم الغزير ، انها كثيراً ما تقف حيرى جاهلة لترى في علمها المتواضع جهلا فتنشد ، عن ذرى فلسفة المعرفة والاختبار

«علمت صنوف العلم درسا وخبرة فمالي بلغت الجهل في منتهى شأني !؟»
«فيا لى من كهل يرى وهو جاثم كطفل ، على شيء يقلبه ، حان ! »

غير ان هذا الكهل الشاعر يجثم على الموضوع ، ببراءة الطفل وحبه الاستطلاع ، ليرتفع به ، على اختلاف مآخذه ، الى مسابك الجدة وسماوة الابداع .

ولما كان شاعرنا نابياً عن النهج التقليدي ، وان شئت فقل : التواطؤ في صناعة الشعر ، زهاء اربع مئة سنة ، على الاقل ، من تاريخ الادب العربي ، نستطيع ان نشير ، في شعره الخالص الجدة الى نبذه « دهريات » العرب ، فالدهر كلمة غائمة المسمى جعل منه شعراؤنا قبل مطران ، اسماً لمؤله نظموا له من الشكاة ونسبوا اليه من الصفات ما لو جمع كله لشغل من الورق ما لا تستطيع تحبيره مطابع مدينة كبيرة ، في بضع من السنين ! .

فهذا الدهر ، في نظر مطران العالم ، كما هو في حقيقته ، الزمان الذي تطويه او يطوينا ، لا فرق ، ونحن المحسنون فيه والمسيئون ، وهو لا يستطيع ان يحسن او يسيء ، فيتأبى مطران ان يعاتبه او يشكوه او يشكو اليه . وقد ألم بهذا الميدان في ساعة يأس ، فكان جديدا ، فعرفت قصيدته الفريدة ، في قصائد ألم النفس ، « بالاسد الباكي » اذ جمع بين نفسه الحرة المؤذاة وبين مصيبته ، في مثل قوله :

« في حرة بكر ضلوعي سياجها اراش عليها سهمه معتد قاس »

واذا ندر ان نزل الى منحدر المديح ، بسمة الشعر العربي الفارق ، اجيال طويلة ، عاد الى نفسه يلومها في ساعات صحوه على فنه بمثل هذين البيتين :

« اضعت وقتا من عزيز الوقت في التمدح
ما اميل المرء ، وان عف ، الى التبجح ! »

وللحياة التي يفرغها الفن الخالق ، في شعر مطران خصائص الشوق والارادة بادية في املح مجاليها ، فاسمعه ، وقد جعل الغضون والزهور تهم بأخذ حسنائه باللثم والضم :

«فاذا دنت في سيرها من زهرة همت بأخذ ذيولها وبلثمها
او جاورت فرعا رطيبا لينا اهوى بمعطفه ومال لضمها»

ولم يفت فنه ان يخلع على روض حسنائه خاصتي السمع والشم فقال :

« والروض ساكنة الى نسماتها تصغي لطيب حديثها ولنمها »

واذا ما عرض لمطران ان يكون معلم الجيل نبا عن « جادة » ممجدي الطواغيت ورجال الدم الى اجواء من العنفوان الحر ، كأنه النسر ينزو الى مربئه الرفيع ، فاستعرض قوافل العبير في مجالي العصور عبرة واباء . وهذه قصائده : في ظل تمثال رعمسيس الكبير ، ومقتل بزرجمهر ، ونيرون لا نستطيع الالمامة بها في حديث مقتضب كهذا ، ولكننا نجمل القول بانها مجالي تحرر وآفاق ابادة تألقت فيها عبقرية خليل مطران ، منيرة لابناء بلاده سبل الحرية في وثبات من خيال الملاحم .

نسيم نصر

شريف وفاجرة

من مآسي الحياة الواقعية

بقلم السيدة ماهرة النقشبندي

قصة

رحلت الى الريف لاستجم ، وارفه عن نفس ضقت بها ذرعاً ، واظنها هي الاخرى ضاقت بي وودت لو استطاعت الانطلاق من هذا السجن المعتم الشاق . فما رأيتها هفت لغير الالم ، وما احسست بها اقبلت الا عليه ، وما عرفتها الا مدبرة عن كل مبهج مفراح ، تنكمش عنه وراء آلامها مغمضة العينين وكأنه شيء لا يعنيها ولم تخلق له .

ورافقتني بعض القريبات لتغيير جو الفنه ، يمر رتيباً مملا يحطم الاعصاب ، وقتل وقت يضيع سدى في بلاد لا تعرف معنى استغلال الكفاآت ، فتظل البلاد كما هي ، ويرحل الناس مع ركب الزمن حيث يطوون تحت الثرى فينسون وكأنهم لم يملأوا سمع الدنيا وبصر الحياة .

تركنا بغداد عندما نفض اول عصفور عن ريشه الندى ، ابتهاجاً بالفجر الوليد ، فاستقبلتنا الانسام الندية العطرة واستدبرنا الهواء المحتبس الكريه .

وانطلقت بنا السيارة في طريق زراعي ، ترتاح اليه النفس ولا تمله العين ، تحف به مروج من العشب السنوسي ، تمرح فيها قطعان من الخراف الوديعة ، يحرسها رعيان في ميعة العمر ، راح احدهم يعزف على نايه اغنية الحنين للحبيب النازح البعيد ، واندفع آخر يغني غناء فيه اللوعة والاسى ، ومضى ثالث مشرد اللب يهش على غنمه وفي قلبه ما فيه من جوى وحنين عميق .

ومررنا باراض قاحلة مهملة ، تركت تشتكي جفافها لرب السماء ، وترك من يحتاجها يشتكي ظلمه لاخيه الانسان الظالم .

ووصلنا بعد ساعة ، فاستقبلنا القرويون الذين يترقبون زيارتنا بفارغ الصبر ، لان فيها الري والشبع والهدايا من ثياب وحلي تسر النساء بصورة خاصة . ووثب من حولنا الكلب بارود يعوي جذلا ، فرحاً فهو ليس بانسان لينسى اننا في العام الماضي قد اطعمناه بعض العظام والفضلات .

وبعد ان حططنا الرحال في بيتنا الريفي ، احاطت بنا القرويات مع اطفالهن فرحات مرحبات يسألن عن الغائب ويستفسرن عن الاهل ، بما عرف عن العرب من حب واكرام للضيف .

وقد راعني غياب ليلى فهي اول من يستقبلنا عادة بصوتها العذب وغنائها الشجي ، فسالت عنها فلم احظ بجواب يشفي الغليل ، فمن قائلة انها لم ترها منذ اسبوعين لمرض الم بها ، وقائلة انها رحلت الى ما وراء النهر لزيارة بعض اقاربها واخرى تقول انها لا تدري بلهجة تثير الظنون وكأنها تدري ولا تريد التصريح فاقلقتني هذه الاجوبة المتباينة ووددت لو ذهبت اسأل عنها ، لكن ارتفاع الشمس في كبد السماء وما ترسله من شواظ في تلك البقعة المكشوفة حيث لا ظل يحتمى به ردعني عن الذهاب فصبرت حتى تنكسر شوكة الشمس فتكف عن عسفها وجبروتها .

وقد يعجب القاريء من تعلقي الشديد بهذه الفتاة ويود لو عرف عنها ما يشبع فضوله .. انها فتاة سلبتها الطبيعة اعظم منح الحياة ، سلبتها نعمة الابصار ونعمة الجمال ، وهي لا تزال طفلة تحبو اذ دهمها مرض الجدري فاعماها وترك عينيها ككهفين غائرين وعبث ببشرتها فترك فيها من الحفر ما يملأ نفس كل من يراها أسفاً والماً ، لكن الطبيعة الرفيقة ، عوضتها عن خسارتها تلك فمنحتها صوتاً عذباً اذا ارسلته اشجى وابكى واطرب فآنس . فغدا كل ما فيها محبب الينا قريب الى انفسنا ، والفتنا فكانت تلازمنا طيلة مكوثنا هناك ، تسمعنا عذب اغانيها فتسحرنا وكانت تفيض رقة وعذوبة لا تعرفها القرويات امثالها ، فان عماها ابعدها عن الشغل والكد فبقيت لطيفة اليدين ، ناعمة الجسم وقد برز نهداها يتحديان من يهزأ بوجهها المشوه ، وينثني خصرها تحت وطأة زنار احمر يلفه لفاً فيكاد يصرخ برشاقة فاتنة . وكان في ساقيها انسجام عجيب وبياض لم تلفحه الشمس فتذهب برونقه .

ومرت الظهيرة بطيئة متثاقلة ، واخذت الشمس تنحدر نحو الافق فذبلت قواها وفنيت حرارتها ، فانسللت من بين رفيقاتي واخذت الطريق المحاذي للنهر متجهة نحو كوخ ليلى حيث تعيش مع امها واخويها . وكان الطريق بعيداً فندمت على خروجي منفردة في هذا المكان الموحش الخالي ، لكن بارود تبعني واخذ يتمسح بي وكأنه يطمئنني ويعرض علي حراسته ، فافرح من

روعي وسرت والنهر ساكن الافواج وقد خضب الغسق صفحته الهادئة بلون ارجواني كلون الدماء المراقة ، وسار يطوي في اعماقه ما يطوي من غموض واسرار .

وبلغت الكوخ فبدا لي غارقاً في صمت عميق وبابه موارباً ولا يدل مظهره على شيء من الحياة فهممت بالنكوص لولا شوق تحرك في خافقي ورغبة ملحة لمعرفة ما حل بالصبية البصيرة . فدفعت الباب فانفتح ودخلت يتبعني بارود فرأيت الام جالسة تحتمي بجدار مهدم وفي يدها مغزل لا تغزل به وهي غارقة في تفكير عميق ، وما ان وقع نظرها علي حتى هبت تغالب ضعفها فلحظت ما عراها من هزال وشيخوخة وكأنها تقدمت في العمر عشرة اعوام عما رايتها في العام المنصرم فقد تغضن وجهها وبرزت عروقها وجف عودها وكلت عيناها فاجلستها وجلست على حصير قبالتها وبقينا صامتين وقد عصاني لساني فلم اسألها عن ابنتها وبعد لأي قالت بصوت متهدج تقطعه العبرات : اراك اتيت تبحثين عن ليلى .. انها . . وفاضت عيناها بالدموع فلم تستطع اكمال عبارتها .. انها هناك في اعماق النهر تتغذى بها الاسماك .. واجهشت ببكاء مر فتت كبدي فشاركتها لاروح عما هاج في قلبي من ألم . . قالت : لا شك انك تعجبين من غرقها ! لا لا . . لا تظني انها ضلت طريقها فسقطت وابتلعتها الامواج الجائعة لا . . لا انها ذئاب البشر التي لا تشبع وتطلب من مزيد ، انه الوغد احمد ابن الحاج عبدالله صاحب اغنى مزرعة هنا واظنك قد مررت بقلعتهم في رواحك وغدوك . لقد تركتها مطمئنة إلى ان عماها وقبح وجهها قد يبعد عنها انظار الذئاب النهمة ، فكنت اخرج مع اخويها للحصاد واتركها في البيت تعمل ما هي قادرة عليه .. وقبل ستة اشهر تقريباً اصابها توعك في المزاج وعدم ميل للطعام واخذت تقضي وقتها مطروحة في زاوية لا يلم بها نوم وقد جفتها الراحة والاستقرار فقطرت لها بعض الاعشاب التي هي دواء كل ما يلم بنا نحن القرويين واذا بها تقيء كل ما تشرب فالحفت عليها بالسؤال فلم تجبني بغير الصمت المطبق . ولاحظ اخواها ما عراها وكانا رفيقين بها يرثيان لحرمانها ، فارادا اخذها الى بغداد لعيادة طبيب فرفضت بشدة فتركاها غير مكترثين بها . ومنذ شهر ظهر حملها فبان ما حرصت على اخفائه ، فاستدرجتها لمعرفة المجرم الاثيم فاخبرتني انه احمد ابن الحاج عبدالله وقد وعدها بالزواج بعد الحصاد . . ومرت الايام وهو لا يكلف نفسه مؤونة السؤال عنها ، فارسلت اليه من يذكره بوعده فهل تدرين بماذا اجابها ؟ ارسل اليها يقول هل من المعقول ان يتزوج بعمياء جدراء مثلها ، وكل جميلات الحي يتحرقن شوقاً الى الزواج به ؟

ومنذ ذلك اليوم استولى عليها اليأس واخذت تذوي كما تذبل زهرة دهمها اعصار فقلعها من جذورها .ثم لاحظ اخواها ما حل بها وفهما ! وصمتت الام لتمسح فيضاً من الدمع سح على خديها المضنيين ولتهدىء من ثورة نفسها المعذبة .. وواصلت حديثها تقول : وقبل اسبوعين صحوت من النوم على صوت افزعني فقمت ويا لهول ما رأيت .. وتوقفت محدثتي عن الكلام واخذت تئن انيناً يذيب اقسى القلوب .. رأيت ابني الاكبر وقد وضع وسادة على فمها وجثا عليها وكانت تضطرب تحته وتجاهد للخلاص فهممت بانقاذها فاذا بابني الاصغر يشهر مدية في وجهي ويهددني بالقتل اذا صرخت او عملت على انقاذها ، واخذني واخرجني من الحجرة .

ثم لفاها بغطائها ووضعاها في كيس وخرجا تحرسهما دكنة الليل البهيم ورمياها هناك .. هناك في الاعماق . . فسألتها عن اخويها وهل عرفا من هو ذلك المجرم الدنيء ؟ فقالت هل تظنينني استطيع اخبارهما ؟ انهما سيقتلانه وسيقتلهما ابوه . . لا لا .. انه في فقد ابنتي الكفاية .. اما هو فسيقتص منه الله عادل (نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) واخذت تنشج فلم اتمالك نفسي فقمت وخرجت وبارود خلفي يعوي ويركض وكان الليل قد ارخى استاره وومضت سماءه النجوم فانارت شيئاً من حلكته .. فاتخذت طريق المزارع في رجوعي الى البيت اذ بت اخشى النظر الى النهر وما يخفي في اعماقه . . وبينما اشق طريقي خلال الشوك وضجيج الحشرات ونقيق الضفادع بلغت اذني اصوات زغاريد واهازيج وطلقات نارية ، ولما اقترب الركب وبانت مشاعلهم تتوهج فتنير حالك الظلام سمعت غناءهم .

عرسك يا خير العرب	يا تاج العشيرة
انت الشرف يا	حامي اهلك والجيرة
انت الفخر انت	انت الشرف انت

ورأتني عجوز عرفتني فسألتني عن وجهتي في هذا الليل الموحش فاخبرتها عن زيارتي لام ليلى فلطمت خديها وقالت اتزورين هذا البيت القذر ، بيت العمياء الفاجرة ! وسألتها عن الركب فقالت انه احمد ابن الحاج عبدالله خير فتياننا يزف الى عروس جيء بها من وراء النهر .. فتركتها وقد نزت جراحي . وفي اذني يرن صدى صوتها .. العمياء الفاجرة وخير فتيان العرب .

بغداد **ماهرة النقشبندي**

النيمبافوري

او سيد الآلهة عند قبائل الباكافوري

ليس النيمبافوري بمخلوق فأصفه لك ايها القارىء العزيز ، ولا هو بتمثال من نحت مخلوق فأقدم اليك على هذه الصفحة رسمه ، انما هو اسم خيالي موهوم ثبت له الدعاوة جماعة المشعوذين ، منذ مئات السنين بين قبائل الباكافوري المنتشرة في الناحية السفلى من الغينية الفرنسية ، بين مقاطعتي بوفا (Bofa) وبوكي (Boké) وقد كان لتلك الدعاوة ابعد الاثر في عقول هذه القبائل اذ انها ، متفردة عن غيرها من الشعوب الافريقية ، ما زالت حتى اليوم متمسكة كل التمسك بالكثير من عاداتها وتقاليدها القديمة ، قابعة في المجاهل والادغال لا ترضى عن مأواها بديلا ، متورعة كل التورع من السكن في المدن والقرى التي بدأت تصطبغ بالوان المدنية الحديثة ، او الذهاب الى زيارة تلك المدن والقرى رغم قربها منها .

ومن عادات تلك القبائل المثيرة للدهشة والاستغراب ايمانها القوي بالنيمبافوري واعتقادها انه اقوى الآلهة واشدها بأساً ، لذلك ما فتئت ، منذ عرفته، تقيم له في كل عام عيداً حافلا بالغرائب والعجائب. فكم من ام تشكل آنذاك وهي راضية مرضية؟ فدماء الاطفال التي تذهب قرابين لسيد الآلهة هو الماء الوحيد الذي يرويه. ويقام عادة عيد النيمبافوري قبل حلول موسم الحصاد ليتسنى لمقيمي العيد طلب البركة والدعاء لجعل الموسم القادم جيداً وغزيراً ، فالى جذع شجرة من القطن قديمة العهد مكتظة الاغصان كثيفة الاوراق ، قائمة في وسط احدى الغابات البكر يهرع ، قبيل العيد بثلاثة اشهر ، صبية قبائل الباكافوري الذين آن اوان ختانهم ، حيث يكون بانتظارهم شيوخ اخصائيون يقومون لهم بعمليات الختان، وليس هؤلاء الشيوخ غير المسنين من جماعة المشعوذين الذين يدّعون التقرب من الآلهة، ويزعمون انهم لها مساعدون. فمن بين الصبية المختونين يذهب بادىء بدء خمسة اولاد ضحايا العيد القادم، وكثيراً ما يزيد هذا العدد اذا كانت دلائل الموسم القادم تشير الى عدم جودته ، فمعنى ذلك ان النيمبافوري لم يرتو من الدماء التي سالت فظل غاضباً فتهرق بغية اروائه دماء ضحايا جديدة .وتذبح الضحايا الى جذع شجرة القطن نفسها وعلى مرأى من الصبية الباقين الذين لا يبرحون مكانهم طوال مدة الختان. كل هذا يجري واهل الصبية لا يعرفون من امر اولادهم شيئاً بل لا يحق لاولئك الاهل الاستعلام عن مصير اولادهم ، وعليهم ، عند كل طالع شمس، ان يرسلوا لهم وجبات الطعام مع جماعة المشعوذين المقربين . اما وجبات طعام الاولاد الذين يكونون قد ذهبوا قرابين للآله المزعوم فانها توضع في خابيات فخارية يقدر عددها بعدد الضحايا. وعندما تنتهي مدة الختان التي تطول كما ذكرنا ثلاثة اشهر يعود المشعوذون بباقي الاطفال الى القرية حاملين بين ايديهم الخابيات الفخارية التي اعاضت عن الضحايا فيقدمونها بكل هدوء ووجوم الى ذويهم وهم يقولون: « لقد اختار النيمبافوري اولادكم ليكونوا في خدمته ، فلا تبكوا ولا تحزنوا فما هذا الا من رضا سيد الالهة وعناية الذين احاطكم بها ». وبعد هنيهة تخرق ضربات الطبل الفضاء لتزيل الاحزان والاشجان ، ان كان لها أثر . ويمتلىء الجو بالاهازيج والاغاريد ويبدأ العيد فعلا ..فما من صبي باكافوري واحد الا ويحاول التمتع جهده ببهجة العيد السعيد خيفة ان يكون هو الضحية في العام القادم فيحرم التمتع بفرحة تلك البهجة . وتبقى الافراح قائمة في القرية اسبوعاً كاملا والبطون تمتلىء بلحوم الابقار التي تذبح في كل يوم والحناجر تصيبها البحة من كثرة الصراخ والاجسام ينالها التعب والضنك من تعداد دورات الرقص، فقبائل البكافوري تنسى خلال مدة العيد جميع اعمالها لتحتفل باقدس الاعياد عندها .

غينيا الفرنسية — **يوسف ابو خليل**

صنوبرة

•

هي صنوبرة عتيقة تظلل مقبرة القرية
حيث ترقد عظام الفلاحين

•

في المنحنى صنوبره تظل سطح المقبره
كأنها عبر الفضا مظلة مدوره
لليل فيها من سنا ادمعه المنوره
لآلىء في مخمل التاج بدت منتثره
فتارة عالقة وتارة منتثره
حبات نور ترتمي خضيبة مستعره
وللضحى من ذوبه سنابل مكسره
تنساب من اوراقها الدقيقة المعطرة
كأنها شلال الوان همى من مطفره !

*

جذورها تغلغلت في مهج مبعثره
تمتص من رمادها اشواقها المحتضره
فترتوي قلوبها البنية المفطرة
دماً كثيفاً اشقرا طيوبه مختمره !

*

في المنحنى صنوبره تظل سطح المقبره
والصمت لا يشوبه سوى غناء القبره

الشويفات - لبنان **فؤاد الخشن**

رباعيات جديدة

•

لئن كسب المرء اختباراً بقربه من الناس، وازدادت ثقافته صقلا
فوحدته تدنيه من شط ذاته وتجلو مطاويها لعينيه ما جلا :
فيدرك دنيا ليس يدرك حدها قد اتخذت من كل شكل لها شكلا
ومن كان لا يدري دخائل نفسه فكل علوم الارض توسعه جهلا

*

صحته، فحسبت الدهر اسعدني بعدالشقا، وهدى خطوي الى ملك
ثم التفت الى اعماله، فجلت عن كاذب، في خداع الناس منهمك
لئن خسرت رجاء كنت احضنه فقدر بحت بيعدي عن اذى الشرك
كم من بريق تهز النفس روعته اذا دنوت اليه، شف عن « تنك »

*

اراك تكن للفضلاء وداً ويظهر منك للسفهاء ود
فيؤلمني سلامك وهو ضعف يجر من الاذى ما لا يحد
ثناء الناس مقياس امين علاؤك او صغارك فيه يبدو
فان يمدحك حر كنت حراً وانت الوغد ان يمدحك وغد

*

تلوم الاغنياء ملام بغض دفين ، ظاهر منه شقاكا
وتقسم : ان غدوت اخا ثراء ملأت الارض رياً من نداكا
ومن يدري ؟ فقد تمسي غنياً ولا تسخو ، ولو بترت يداكا
فبذل المال اسهل ما تراه ولكن ، حين يبذله سواكا

عاصمة الارجنتين **الياس قنصل**

من الرابطة الادبية في الارجنتين

غريب

•

الليل يرهبني بظلمته فأصرخ : هل تؤوب ؟
سمراء ، ضللها واسكر قلبها امل كذوب
ماتت على شفتي اغنيتي ، وكفنها الشحوب
وبقيت انتظر اللقاء سدى ، واحلامي تذوب
وهناك ، في المذياع ، يعلو ذلك اللحن الرهيب
« رقص المقابر* » في الظلام، ويصرخ القلب الكئيب
في آهة حرى ، .. لقد نسيت واغرتها دروب
ذهبت الى غيري ، وانكرت الهوى فأنا غريب !
ذهبت ، وما بردت ضلوعي او خبا فيها اللهيب
ذهبت .. وسوف اظل منتظراً اغمغم: قد تؤوب !

مرتضى شرارة

مأتم ..!

•

مهداة الى وردتي الذابلة

•

ابتاه ! لا تغلق فخلف الباب لي روح شقيه
صوت الى المجهول ناداني ، وحار بمسمعيه
مهلا ، سأمضي ، والدروب تصيح ، لا تغلق عليه
اجفلت من عمق الحياة ، وسرها في مقلتيه
اسئمت ؟ ماذا ابقت الايام من دنياك فيه
صمتاً جريح الذكريات ، يتيه اشواقاً شجيه

---

* Dance of death للموسيقار الفرنسي سان سان.

انا طفلة ابتاه ، لم تدم الورود على يديه
انا طفلة كالفجر ، لم الق الشعاع الى خطيه
مهلا ، مضيت ، ولي على الآفاق اطلال نديه
أبني على انقاضها حلمي .. واحلامي بقيه
ابتاه ! ويحي ما جنيت ، طلعت اوهاماً خفيه
لملمت بي عف الحنين ، وصفته قبلا سخيه
ونظرت في عيني اغواراً ، وذبت بدمعتيه

*

يا اخت هذي دمعة خرساء في جفني عصيه
مذعورة تلك الثياب السود تملأ ناظريه
قد مات .. يا للموت كفنه ومزق بردتيه

حمص عبد الباسط الصوفي

رياء

•

خلي الحياء ولا تذوبي اما لقيتك في الدروب
انا لا الوم حبية هامت بفاتنها الحبيب
سيري ولا تتلفتي حذراً كساع في مريب
اني اخاف يراك في قربي ولونك في شحوب
فيثوب لا يلوي على ورد ولا يهفو لطيب
خلي الرياء وجاهري فيما اقترفت من الذنوب
قد كنت اولى بالحيا لو كنت في عين الرقيب

وديع ديب

الزوايا المظلمة

الى صديقي الاستاذ الشاعر (عبد المطلب الامين)

•

رعناء ردي الحسن عن مخمور عن مقلة نشوى ووهج سعير
ما زال عندي من حجاي بقية لم يمحها كاس الهوى المسحور
اني اتيت اليوم انسى خيبتي لا تطفئي بالله وقد شعوري
لا تخدعيني فالهوى اسطورة لم تعرفي منه سوى المهور
اني اعيذ الحب من مهزولة قد امضت العشرين في الماخور
اين الشفاه الهامسات بطهرها من هذرك المستقبح المقرور
بل اين نظرتك الملول بعهرها من رنوة المستسلم المبهور
لا تلمسيني بالشفاه تهدلت فكأنها ورد لكل حقير
او تومئي بالنهد اضحى مضغة في ثغر كل قمامة سكير
قومي البسي ما قد خلعت من الردا وتمنطقي بالمئزر المنثور

*

ما انت الا طفلة مهزولة تبدين لي كالهيكل المنخور
اني جلست اليوم ابغي نشوة من خمرة تلقي بثقل ضميري
قومي املائي كاساتنا العطشى بها ولنترك التقليد كالمقهور
ياخمرة الاحزان زيدي شدة وتسلقي متن الكؤوس وثوري
اني اراك الآن دنياي التي اسمو بها في زهوة المنصور
برج المثاليات دكيه كما لو لم يكن من قبل بالمعمور
يا خمرة الاحزان اني عابد في لونك الصافي اذبت غروري
اني يئست من الحياة وجئت في ذل اليك لتستفيق زهوري
ولقد وهبتك مخلصاً كينونتي لا تتركيني للظلام مصيري
فلطالما والجرح مني مزمن الوت بصبري غلظة المقدور
هذي الحياة تفاحة لو لم يكن في قلبها تجري دماك ففوري
ان مت يوماً في هواك فانه حلم غني للفتى السكير

*

حسناء عفوك عن مرارة مجلسي اني قضيت العمر كالماسور
ذقت الشقا حتى كأن ضروبه قد آلفت مني صديق دهور
فكفرت بالقيم الرفيعة والعلى وهبطت من برجي ومهد النور

*

حسناء عفوك انني اهذي ولا حرج علي وقد اضعت شعوري
ويح الفضيلة اذ تكون ثمالة في كأس عربيد الخنا مخمور

دمشق سعيد حورانيه

نبي

•

هواك على المدى ظمأ وري كمهلكة بها نبع شهي
وددت بأن اكون لديك عطراً يزكي طيبه جسد غوي
تنامين الضحى رغداً وبمسي حزيناً تحت شرفتك الشقي
الى كم تجهلين هيام روح ينازعها اليك هوى خفي
أاقنع منك بالنظرات زاداً بلى .. دنياي يا المي بغي
حياتي في هواك ظلام قبر سوى شعري هو النجم الوضي

*

يطير بروحي الحيرى يقين كأني في محبتها نبي

باريس .. عبد القادر رشيد الناصري

الى حزينة

•

لم الحزن ؟ اين انعطاف المنى ؟ يرف ابتهاجاً على مبسمك

وأين ابتساماتك الحالمات ؟ فما عدت ألمحها في فمك !
تغني ، ولا تأذني للاسى يحدق يوماً الى بلسمك
اذا عصف الحزن في وجنتيك، تلصص لون الصبا من دمك
أيرتشف الغيم سحر الاصيل، ويحرم قلبي سنى انجمك ؟

*

عهدتك ريانة كالربيع ، يداعبك المرح الأخضر
تدفق من ناهديك الشباب ليشربه صدرك المرمر
ترفين اما سمعت الغناء رفيفاً تصورة المزهر
فأين الرؤى الناعمات الحسان؟ وكيف انطوى امسك الانور

ذري عالم الحزن ، اخشى الهموم تحجر قلبي ، فلا اشعر

*

لم الحزن ؟ يا لفتة الامنيات ويا خطرة الامل الزاهر
ويا فكرة ، ابدعتها السماء لتلقي صدى الحب في خاطري
ويا نغمة ، رتلتها الحياة ، صلاة تطوح بالكافر
اعيدي الجمال السني القني وبثي هوى قلبك الطاهر
اذا انت حولت ظل الجمال فمن يلهم الفن للشاعر

بغداد — محمد النقدي

لولاك !!

من ديوان «الصواعق والترانيم» المعد للطبع

•

انا لولاك ما عرفت الغراما لا ، ولا السهد والاسى والسقاما
انا لولاك ما تحطم عودي مغرقاً في أنينه الانغاما !
انا لولاك لم اذل فؤاداً كان في العز والاباء اماما !
انا لولاك ما هصرت شبابا كان كالغصن رونقاً وقواما
غمر الوجد والكآبة ثغري بعد ان كان منشداً ، بساما
وثوى الحزن في ظلال جفوني وطغا فوق مقلتي غماما !
ومشى الوهن في الجبين غضوناً راسمات لواعجي والهياما
تتوالى ، خرساء ، لكنها قد تعجز النطق حجة والكلاما

*

غير أني لولاك ما كنت شيئاً يستحق الاحلام والآلاما !
علمتني عيناك في ضجة الاشواق معنى الاشواك حول الخزامى
ارتاني الوجود شوقاً ووصلا والاماني دمعة وابتساما

*

انت كالخمر ، تحمل الروح نشوى في مهب الرؤى لتهوي اواما
انت كالقبلة المثيرة تطفي ظمأ الصب كي يجن ضراما
انت كاللحن تشرق النفس فيه ثم يمضي ، لتستحيل ظلاما
بيد ان الحياة — يا ثورة الفتنة — ما طعمها وني وسلاما ؟
انما الكون ، والسعادة ، لحن عربد الحب فوقه ثم ناما ! !
وشفاه ، وقبلة تملأ القلب ابتهاجاً ، ورعشة ، واضطراما !
وكؤوس تفح في خمرها النشوة مجنونة الهوى في الندامى !
قصر العمر ، والحماقة ان يمضي انطواء ووحشة وانهزاما !
ومن الجهل — والسعادة وهم — ان نجافي، على المنى، الاوهاما!!

بماكو - السودان الافرنسي — فهد ابراهيم

نامي

مهداة الى الصديق الاستاذ الشاعر ابراهيم العريض

•

نامي على صدري الحنون تباركت عيناك نامي
الزهر بلله الندى والورق في جوف الظلام
وضراعة العصفور تخفق كالنسيم على الغمام
وبقية الالحان تسرح بالقطيع على سلام

*

او ما ترين ربيعك الريان مؤتلقا لديا
وذراعي الظمآن يطوي الحصر بين يديك طيا
واري به موج الصبا واري الربيع عليه حيا
نامي فما برحت عيونك في الدجى القا وضيا

*

ما زال كاسك مترعاً وشفاهك الحمراء سكرى
وجفونك النعسا تكاد تشيح عن عيني كبرا
واحس انفاس الربيع تمر بين يديك عطرا
نامي على صدري الحنون تري به نغماً وشعرا

*

وتري به عش الهوى ولنهدك الظمآن وكرا
انا ما سكرت قبيل هذا اليوم او نهنهت بكرا
كلا ولم اندب على يأس من الآمال ذكرى
قد كان لي نفس فبغت خيالها وتخذت اخرى

*

لا تتركي جسدي يخر على بقايا من حطام
مدي جناحك بالرضى مديه من حولي ونامي
اتعيش اصوات الطيور وخفق اجنحة الحمام
وبكاء ساقية الحقول ووقع انداء الغمام

*

نامي ربيعك لم يزل كالخمر في قدحي وجامي

البحرين — ناصر ابو حميد

وادى الغيوم

اين واديك يا غيوم ؟
تعالي
ملت الروح شهوة الصلصال !! .

ها انا قد عدت فانسجي لي جناحاً اترقاه من لظى آمالي ..
حالم الطرف ، هامد القلب غرقان يبحر من خمرة الاجيال..
كلما مر بي خيال حبيب قلت للنبعة الاثيمة : مالي ؟ !!
ألي الجنة الغريرة والاحلام والحب والكؤوس الحوالي ؟
الي الحكمة الفقيرة والاوهام ؟ والدود ضج في اوصالي ! .
ألي الشعر ؟ هذي الارض تبكى ولي الحسن ؟ هان صرح الجمال !
اينما اتني ظلام ولغز ومن النار ألهبت اذيالي !! ..

*

ها انا يا غيوب اين سمائي ؟ كي ارى الارض ابنة الاغلال
بيديها شبابة وهي تحدو بالعذارى .. الى القبور البوالي
انا في الحلم عاشق اللذة الكبرى اغني لطيني المتعالي !! .

اين واديك يا غيوم ؟
تعالي..

هل ترى زورقي النحيل ؟ غافياً من ضنى الرحيل
موجة السر غمغمت قصة الشاطىء الجميل ..
فمضى يسأل السيول وأتاني بلا دليل .. !!
تلكم النارما شفته والبطولات اضحكته والاساطير اغرقته
وهو في حلمه النبيل
عاشق في الهوى ذليل ! ..

بغداد — علي سلمان

وشوشات

مهداة الى الاديب وديع فلسطين

في الدياجير وشوشات الزمان ووراء الظنون خفق الاماني
وعلى السفح والكثيب وفي الرمل سطور يخطها الخالدان
قد محت رسمها الرياح فصارت في الزهور الحسان والافنان
وغدت في السكون انات ناي نفخت فيه رائعات الاغاني
وسرت في الكروم انسام عطر قد شربناه في خمور الدنان

*

قطرات حوت دعاء الليالي ونداء المجهول خلف الستور
هذه قطرة يلفها الحب رداء قد صيغ قبل الدهور
وردة مسها الربيع بكف من حنان وقبلة من عبير
بثها العاشقون ما انبت الهمس من الورد فوق تلك الثغور
وشوشات حبيبة ثأرات خجل لفها عن المنظور
مد ظني من خافقيه وأمضى عمره هائماً وراء الليالي
ضارباً في الظلام يصدمه اليأس وتدمى اقدامه في السؤال
ان بدا بارق حوته غيوم فيراه كقطرة في الرمال
والزمان العتيد يضحك نشوان وقد لفه كثيف الظلال
واذا الخافقان من غير ريش قيدا بالفناء بعد الكلال

*

يضحك البحر والرمال سكارى لحداه بنايه المسحور
وسباق الامواج خلف الاماني شغل البحر عن سباق النسور
وغفا القارب الصغير على الشاطىء قد قر راضياً بالمصير
وكتبنا على الرمال حديثا فمضى الموج ذاهباً بالسطور
فغدونا انشودة في حداه وغدونا على شفاه البحور

غزة — على هاشم رشيد

اغتراب

لن اغني من بعد.. ان غنائيبات لغوافي هذه الضوضاء
لن اغني ، لكن سأكتم انفاسي واحيا في عزلة خرساء

*

ايه يا نفس ، ما تريدين ؟ لا الشهرة تغني ولا رضى الغوغاء
باطل ذاك .. باطل ان تغري بثناء يأتي من الجهلاء
ان اجزائك البعيدة لن يرقى اليها ثاو على الغبراء
اتركيهم وحلقي في الاعالي وتناءي ما شئت ان تتنائي
انت من خفقة الجنان جناح يتمادى مصعدا في العلاء
يترك الناس في نعيم الجهل ويهفو الى نعيم الشقاء

*

آه ماذا اقول ؟ هل الشقاء من نعيم ؟ اواه من بلوائي
ليس من يفقه الوجود ولا من يتدانى من فهمه باجتلاء

*

يا وجودا احببته وكياني من صراع الاضداد في هيجاء
صرت فيه ارى الذي كنت قبلا اجتليه بنظرة استهزاء
وتباعدت عن سواي فلا دنياي دنيا ولا الفضاء فضائي
لي كتابي وعزلتي وليال ساهرات في رهبة الكبرياء
حيث نفسي امست عزاء لنفسي حينما عز في سواها عزائي

دمشق — تيسير شيخ الارض



جولة الأديب في شهر

الصحافة الادبية في لبنان

❖

ان المعاصر المتتبع للحركة الادبية في لبنان، ليحار في تعليل الاسباب الروحية والاجتماعية الهدامة التي ادت الى هذا الجمود الادبي الشبيه بالموت، والى كساد السوق الادبية الحاضرة، هذا الكساد المخيف الذي يكاد يودي بحياة كل صحيفة ادبية، او حتى التي عليها مسحة خفيفة من الادب !

ان ما لا شك فيه، هو ان الاديب لا يستطيع ان ينصرف الى فنه الا اذا انصرف عن التفكير بحاجات البطن والجسد ! ولا يتأتى له ان يعطي الاعطاء الحار القيم الذي يهب الحياة الفكرية الحارة للقارىء الا اذا ضمنت له من دنياه الكساء والغذاء والاطمئنان

هنا، من هذا الصدع الكبير في مجتمعنا الحائر نرى ان منشأ المشكلة ناتج عن الصحف الادبية نفسها : فما دامت هذه عاجزة عن النهوض بالجانب المادي لادبائها الذين يغذونها بادبهم، وما دامت غير قادرة على تأمين الحياة لهم، فانهم — من طريق اولى — لا يستطيعون امدادها بما يضمن لها الحياة والبقاء. فالمشكلة اذن، هي بالدرجة الاولى «مشكلة الخبز» ولا شيء غير الخبز !

وبودنا لو يتسع المقام لتبسيط هذه المشكلة تبسيطاً كافياً والسير بها بعيدا للاحاطة بملابساتها وحالاتها، وكيف انتهى امر «الحياة الفكرية» عندنا الى هذا المصير، وكيف تتنوع فيه وجوه الرأي. ولكن عميدنا المحبوب الاستاذ رياض طه — اعز الله به دولة الصحافة — يكره الاطالة جهد الكره، ويقول : نحن في عصر السرعة، عصر الصندويش .! اي ان الانسان صار يتبلغ طعامه واقفاً وماشياً وراكباً بمنتهى السرعة : ولذا فهو يكتب افتتاحياته في حيز قليل من هذه الجريدة في (مستطيل) لا يزيد طوله وعرضه عن رغيف الصندويش !.

نعود الى الموضوع : فمنذ عهد « المعرض » و« البرق » و«المكشوف» و«العاصفة» لم تصدر في لبنان صحيفة ادبية بالمعنى الصحيح سوى مجلة «الاديب» الحاضرة التي غطت على كل ما تقدمها وعاصرها من صحف ادبية، وهي الآن ما تزال وحدها في الميدان تطلب النظير، ولا نظير.

ولا يعني ان الصحف الآنفة الذكر كانت قليلة الجدوى والاثر بل على النقيض لقد كانت نواة نهضة ادبية طيبة لا نزال نذكرها بالخير الكثير، لا سيا عهد المعرض والمكشوف، فقد كان من خيرة العهود الادبية التي مرت بلبنان.

في ذلك الوقت، كان لقيام « عصبة العشرة » اثر ملحوظ في الاوساط الادبية وكان قلم المرحوم الياس ابو شبكة «المحرك» القوي لتلك الحياة يومئذ. ولا اغالي اذا قلت اننا — في لبنان — لم نستعض عن قلم ابي شبكة حتى اليوم، فقد كان قلماً مرهفاً قوياً مشاركاً في كل شاردة وواردة عديم النظير ! كان قلماً شاعراً وناقداً وموجهاً.. كان شعلة، كان عاصفة، وما اكثر ما كان !

وفي عهد قلم ابي شبكة، كانت الصحف الادبية تعني بالنقد عناية خاصة. وكان القراء من مختلف الطبقات يشترونها بلهفة ليشهدوا المعركة.. وكان يسألون عنها، ويتتبعونها اكثر مما يتتبعون اخبار السياسة المحلية، لانها كانت ميداناً للمصاولات والمطارحات، ومسرحاً للشعر الرقيق من مختلف الموضوعات.

ولا ننس العرفان، هذه المجلة التي كان لها سابقة الادب في لبنان، وكانت منهلا ثراً من افضل المناهل في وقت من الاوقات، الى جانب مجلة الحديث الحلبية ناهيك بالصحف الادبية الاخرى التي لم تطل حياتها كالعروبة، والاماني والفجر وغيرها التي عاشت كثيرا واعطت كثيراً.

اننا اليوم نري الصحف الادبية قد تدهورت تدهوراً

نفقات لا نستطيع تأمينها. اما وزارة المعارف فلا ينتظر منها التشجيع خلافا لما ذكرته يا اخي... الست في لبنان ؟ !

- من الاستاذ اديب مروة باريس

«.. تألمت لحالة الاديب المادية. ان كفاحك يا اخي هو كفاح كل اديب عربي في هذا الزمن وان هذا الكفاح وحده هو الذي يذكي في نفوسنا جذوة الامل في مستقبل افضل لهذه الامة ... يوم يأتي، حين تقدر فيه العاملين المخلصين من ابنائها، وتنقلب على المشعوذين المنافقين الضالين

واقول لك الحقيقة يا اخي ان آمالنا معلقة على كفاحك وجلدك في المضي بمشروعك حتى النهاية...»

ـ اشكر لك حسن ظنك اخذ الله بيدنا الى ما فيه الخير.

- من الاستاذ احمد عويدات باريس

«... لقد طلقت «مونيك» وانا منهمك الآن في كتابة قصتي الطويلة»

ـ اعزيك بالاولى وارجو لك التوفيق في الثانية.

سحيقاً، واصبحت وجل امرها ان تملأ صفحاتها بالسياسة المحلية وباخبار الذين يأكلون ويشربون ويذهبون ويعودون ويتزوجون ويموتون .. لقد انحرفت عن رسالتها التي خلقت لها، فكان ان انحرف القراء عنها واعلنت الافلاس.

واليوم! ماذا لدينا مما يقرأ؟ اذا استثنينا مجلة «الاديب» ارقى صحيفة ادبية حتى اليوم، فاننا لا نجد امامنا سوى «صوت المرأة»، هذه المجلة النسائية الطالعة التي يبشر وجودها باطيب الاماني والآمال، وهي الاولى من نوعها عندنا. ان الادب النسائي ادب منشود تلح الحاجة الى وجوده في ادبنا المعاصر اسوة بالبلدان الراقية. فهل تكون مجلة «صوت المرأة» صاحبة هذه الرسالة العزيزة؟.. هذا ما نرجو.

بقي ان نلم المامة قصيرة بالصحف الاسبوعية. فما هي الصحيفة التي يمكن للقارىء المثقف او المستنير ان يفتحها على ما يرضيه.

لا احب تعداد الصحف الاسبوعية التي تسمي نفسها (ادبية ثقافية) فالرقم طويل، والعمر قصير!.. انما من الانصاف ان نشير هنا الى مجلة ادبية صدرت حديثا في بيروت باسم «الالواح» يقول صاحبها انها «ديوان للادب والعلم والحياة» ونرجو ان تكون كذلك في مقبلات الايام.

اما المجلات الروائية، فمن المؤسف حقاً ان لا يكون في لبنان غير «الف ليلة وليلة» ومع احترامي لقلم صاحبها الاديب اقول انها تدور في فلك تجاري يرضي السوق، ولا يراعي في مواضيعها وصنيعها سوى مصلحة «المبيع العددي» لانها لا تتطرق بقصد لسوى مواضيع معينة! ولا غرو، فالهدف المادي اصبح هدف كل صحيفة في السوق.. وهذا الى حد ما، حق وواقع. ولكن اذا جعلنا كل غايتنا في كل ما نؤلف وننشر ونحرر ارضاء فئة معينة مراعاة «للمصلحة المادية» فالى اي درك ينتهي بنا المآل؟

على انه لا بد لنا في هذا العرض السريع من ان ننظر الى المسألة من ناحية اخرى «القارىء العربي»: فان اقباله على استهلاك الكتب والصحف لا يشجع كثيرا على التأليف والتحبير، وارهاق القوى العقلية في سبيل مرضاته!

ان عدد المتعلمين في تزايد مطرد، كما ان عدد «القراء» في تناقص مطرد، فما سبب هذا البلاء؟

سببه — فيما اعتقد — ان المطالعة عند الكثرة الغالبة من الجمهور العربي ليست «ضرورية» حتى الآن! فمتى اصبح جمهور القراء يرى ان شراء الكتب والصحف ضروري كشراء الخبز حينئذ نستطيع ان نستبشر بالخير.. اما ما دام سواد الجمهور بليد الذهن الى هذا المقدار، محدود الفكر الى هذا الحد، فان موت الصحف الادبية، وانصراف الاقلام الموهوبة الى غير الادب، نهاية محتمة، يبررها الامر الواقع!

«الاحد» **محمد يوسف مقلد**

- بقية المنشور في صفحة ١٢ -

من كتابة المؤلفات الرنانة التي لا يقصد منها سوى الدعاية الفارغة، ولذلك لا بد من عمل جدي متواصل. فكان له مثال يحتذى به، بل كان يتعاون معه، عند الضرورة، في كتابة صفحات من «بوفار ويكوشه» فكان يرسل موباسان لينعم النظر في بقعة من النورماندي يصفها في قصته. تلك هي المستندات التي كان يقول بضرورة اللجوء اليها قبل الشروع بالتأليف، فهي بعيدة عن مجموعة المستندات العلمية الكاذبة، تلك المستندات التي يعتمد عليها زولا. اما هو فقد كان يستوحي الطبيعة ويطلع على اسرارها.

وكان ينصحه بالملاحظة القوية التي تتيح لنا ان نكتشف في الشيء ناحية جديدة لم تقع عليها عين ولم تصورها ريشة رسام.

وهكذا نجد موباسان ينسج على منوال فلوبير، فجاء وصفه دقيقاً ينبض بالحياة، وتتجلى فيه روعة الفن. فاذا ما وصف لنا فقيراً مسكيناً، شبهه بحيوان الغاب، يعيش وسط الناس، ولكنه لا يعرف احداً، ولا يحب احداً، بل هو لا يثير في نفوس القرويين سوى عاطفة الاحتقار والبغضاء. ثم نراه يموت جوعاً وتعباً.

لقد كتب موباسان ما يقرب من ثلاثمائة قصة، وذلك بين ١٨٨٠ حتى ١٨٩٠، نشرت في ثمانية عشر مجلداً. وقد نحا في قصصه الاولى منحى فلسفيا «بيت تيليه، الآنسة فيفي» ولذا نراه، اول الامر، لا يهتم بالقصة اهتمامه بالمغزى الذي ترمي اليه، بينما نجده يعنى بسرد القصة في مؤلفاته التالية «في الاسرة، قصة ابنة المزرعة».

وتمتاز قصته «في الاسرة ١٨٨١» بالنقد اللاذع. يصور فيها تكالب صغار الموظفين على المال، فهم يتقاسمون ارث والدتهم العجوز، وقد حسبوها ميتة، فاذا بها تستيقظ من سباتها العميق، فتجد نفسها وحيدة في بيتها المنهوب.

وهو يحلل في قصته «حياة ١٨٨٣» قلب فتاة عاطفية تنشد السعادة وتسعى وراء تحقيق احلامها. ولكن سرعان ما تخيب آمالها، فتموت لوعة وحسرة على ضياع حياتها.

وقصص موباسان في مراحل حياته المختلفة، انما هي صورة للبشرية المعذبة «صديق مخلص ١٨٨٥، بيير وجان ١٨٨٨، قوي كالموت ١٨٨٩، قلبنا ١٨٩٠».

فبينما نراه ينقم على الناس في اول حياته، اذا به يحنو عليهم وقد شعر بآلامهم وشاركهم في احزانهم. ولا عجب فان ذلك الرجل القوي البنية، اخذ المرض يهد كيانه حتى قضى عليه.

وبعد، فان موباسان يعد، بحق، عميد القصة بلا منازع، لانه صور الحياة الباريسية في مختلف طبقاتها ابرع تصوير. وما القصة سوى صورة صادقة للحياة.

دمشق **خليل عزيز شطا**

الفنان حمودي

اقام الفنان العراقي المعروف الاستاذ جميل حمودي معرضا لانتاجه الفني التجريدي في صالة فوييل «Voyelles» بباريس اثار اعجاب الزائرين من مختلف الشعوب. كما اثار اهتمام كبار النقاد فتحدثت الصحف الباريسية طويلا عن جميل حمودي ومعرضه الذي اعطى صورة حية نابضة عن حياة العراق وسحر الشرق وليالي شهر زاد وقالت انه « مظاهرة فنية بباريس يقوم بها الفنان حمودي باسم بغداد ».

واهتمت محطات الاذاعة الباريسية بهذا المعرض فارسلت مندوبيها لزيارة المعرض وتسجيل ريبورتاجات عنه. كما دعاه مدير محطة التليفزيون وقدمه الى الجمهور الباريسي وكان مرتديا الزي العربي

لا نحاول هنا تعريف الصديق جميل حمودي والتحدث عنه وانما اردنا اعطاء صورة خاطفة عن النجاح الذي احرزه هذا الفنان في عاصمة الفن باريس. وكما قالت عنه جريدة النيويورك هيرالد تريبيون (الطبعة الاوروبية) « فانه باستعمال الالوان النقية والخطوط التجريدية يكشف لنا عن الشخصية التي تفرقها التشكيلية الغربية والتي تدل على ان بالامكان اعتبار اعماله الفنية خطوة ثابتة في سبيل تأسيس (مدرسة عربية) في التصوير المعاصر ».

وقد اشرفت على تنظيم المعرض الآنسة جيزيل بيدار وهي شابة باريسية انهت دراستها في الادب وتاريخ الفن قبل بضع سنين وأدارت بعض المكتبات الادبية والفنية الشهيرة بباريس. وقد تتبعت الحركات الفنية في فرنسا منذ مدة طويلة مما كون لها ثقافة فنية واسعة ساعدتها على افتتاح صالتها وتنظيمها بأجمل شكل الى جنب مكتبتها المسماة Voyelles والانسة بيدار تعتقد كالكثير من نقاد الفن الفرنسيين ان في الشرق منبعا من اغنى الينابيع الايحائية التي يمكن للفن الاوربي المعاصر الاستفادة منها.

اما دليل المعرض فقد قدم له بالفرنسية الناقد الفني الكبير الاستاذ جاك لاسين الذي عرفه قراء الاديب (السنة الاولى والسنة الثانية) وقدم له بالعربية الاستاذ الدكتور بشر فارس.

ويسرنا ان نورد فيما يلي المحاورة التي اذيعت من محطة باريس ودارت بين الفنان حمودي والناقد الفني للمحطة وهو ايضا «المدير الفني لمجلة الآج نوفو».

— لم يحدث حتى الآن ان تقوم صالة باريسية بتقديم انتاج فنان ولد ونشأ في العراق. وهذا ما شاءت ان تقوم به الانسة جيزيل بدار مديرة صالة ومكتبة (فوييل) حيث انها تعرض لنا تصاوير زيتية ومنحوتات وفخاريات ورسوم للفنان جميل حمودي الذي نحن سعداء لتقديمه اليوم الى مستمعينا في الشرق الاوسط.

حدثنا ايها الاستاذ حمودي، هل انت من بغداد نفسها، حيث درست وتهيأت للانتاج؟

— هذا صحيح. بل يمكنني القول اني من بغداد بكل كياني وحقيقتي حتى سنة ١٩٤٧ حيث شاءت الحكومة العراقية ايفادي الى فرنسا لمتابعة دراساتي الفنية وملاحظة الحركات الجديدة في الفن الفرنسي.

— وهذا ما اجاب رغباتك كما اظن، افلم تتظاهر بروحك الفني منذ صغرك ؟

— حين كنت صغيراً كان والدي يأخذني على ما اذكر الى متحف بغداد لمشاهدة الروائع السومرية والاشورية والاسلامية. وحين كنت ارجع الى البيت كنت اعيد بالطين، معتمداً على ذاكرتي، ما رأيت من تماثيل.

— الواقع ان في معرضك بعض الفخاريات الجميلة جداً والتي صنعت ببساطة وبذوق زخرفي حي، افلا يبعد بك هذا عن نشاطك الاساسي؟

— اني، كما استطعت ان ترى، انحت وارسم. وهذا ما اتبعت من دراسة في معهد الفنون الجميلة ببغداد، قبل ان كنت مدرسا للفن بدار المعلمين الابتدائية بنفس المدينة.

— ان معرضك يقدم لنا بعض صور زيتية تلتمع الوانها البراقة بروحها الشرقي المتساوق بعواطف تشكيلية تحدها بصراحة خطوط سوداء تعطيها بحرارة ووضوح زوجية (فن التزجيج)، على خفة وبساطة تسريان على قواعد اكثر صراحة، فالخطوط الخالصة المحتوية دائما على حساسية مستمرة تتظاهر بالهدوء وبالجلال. اما رسومك ففيها نوع من التوازن والخلوص بالطريقة الكتابية كما اظن بينما بعض اشكالك المنحوتة التي تتكلم منطلقة في الفضاء سواء كانت من خيوط الحديد ام من صفائح النحاس المقطع. اريد ان اقول بكلمة واحدة ان (الكتابة العربية) لها مكانة هامة في جميع انتاجك فهل هي الاساس عندك؟.

— استمررت بباريس على انتاج القطع السريالية في النحت وفي الرسم. ويوما ما كنت في المكتبة الوطنية، اقلب صفحات الخطوط البغدادي (مقامات الحريري) فلفت نظري ما تصنع الكتابة العربية من حركة تجريدية بتجمع حروفها وتقاطعها. فبعث بي

الاستاذ جميل حمودي



العاشقان في الظل



هذا الى خلق بعض الصور معالجا مواضيعي حسب الحركة التي تطبعها كلمة او عدة كلمات عربية اختارها . نعم كنت استوحي الخط العربي لخلق لوحاتي التجريدية الاولى متأثراً بالالوان البراقة المشمسة التي تتصف بها بلادي ومنذ ذلك لم احاول نسيان الشرق نوره وتقاليده العميقة .

— ان لوحاتك الاخيرة ذات الطابع الفضائي المرسومة حسب اشكال ولمسات متناثرة تشبه الى حد ما، ما في السيريالزم من اتجاه نحو هذه التجريدية التي اعتقد انك وفي مخلص لها.

— الحقيقة ان السيريالزم لم تحصل الا على اهتمام القليل من بين المواطنين في العراق - لعلها كما اظن - لا تجاوب بينها وبين نفوسهم وطباعهم الفكرية . ولكني اعتقد ان التجريدية تجذب اهتمامهم اكثر. ان التجريدية كانت دائما



الآنسة جيزيل بيدار

ركنا اساسيا في الفن العراقي بمختلف تطوراته الا اني مجبر على القول بان الشرقيين يتحسسون للرمزية اكثر من اي مذهب آخر .

— اعتقد ان الاثر المتوثب للتقاليد يشرحه جيداً ماضي الفن في العراق .

— بالتأكيد : فهناك في العراق عاشت حضارة من اقدم الحضارات البشرية. اتدري انه قد اكتشفت فيه قرى كانت تحتوي على مباني وادوات تبتعد الى حوالى الالف السادس قبل الميلاد ! كان يسكن العراق على ما يظهر حوالى الاربعين مليون نسمة اما الان فلسنا نعد اكثر من حوالى الستة ملايين. ولم يبدأ العراق المعاصر نهضته الحديثة الا منذ حوالى الثلاثين سنة فقط ، اما الفن العراقي المعاصر المتصل بالحركات الحديثة في الغرب فلا يبتعد بنا اكثر من ١٥ الى ٢٠ سنة. واما الصلة بالفن الفرنسي فليست حتى الان مباشرة واظنني كنت الاول الذي كتب عنه في العراق ولكن للاسف لم يكن تحت يدي الا ما تقدمه الكتب والفوتوغرافات عنه .

— ان القوى الجديدة المنطلقة عن الماضي المجيد حرية ان تدفع العراق والشرق كله ان يشغل مكانة - من جميع النواحي - طيبة بين الدول الغربية .

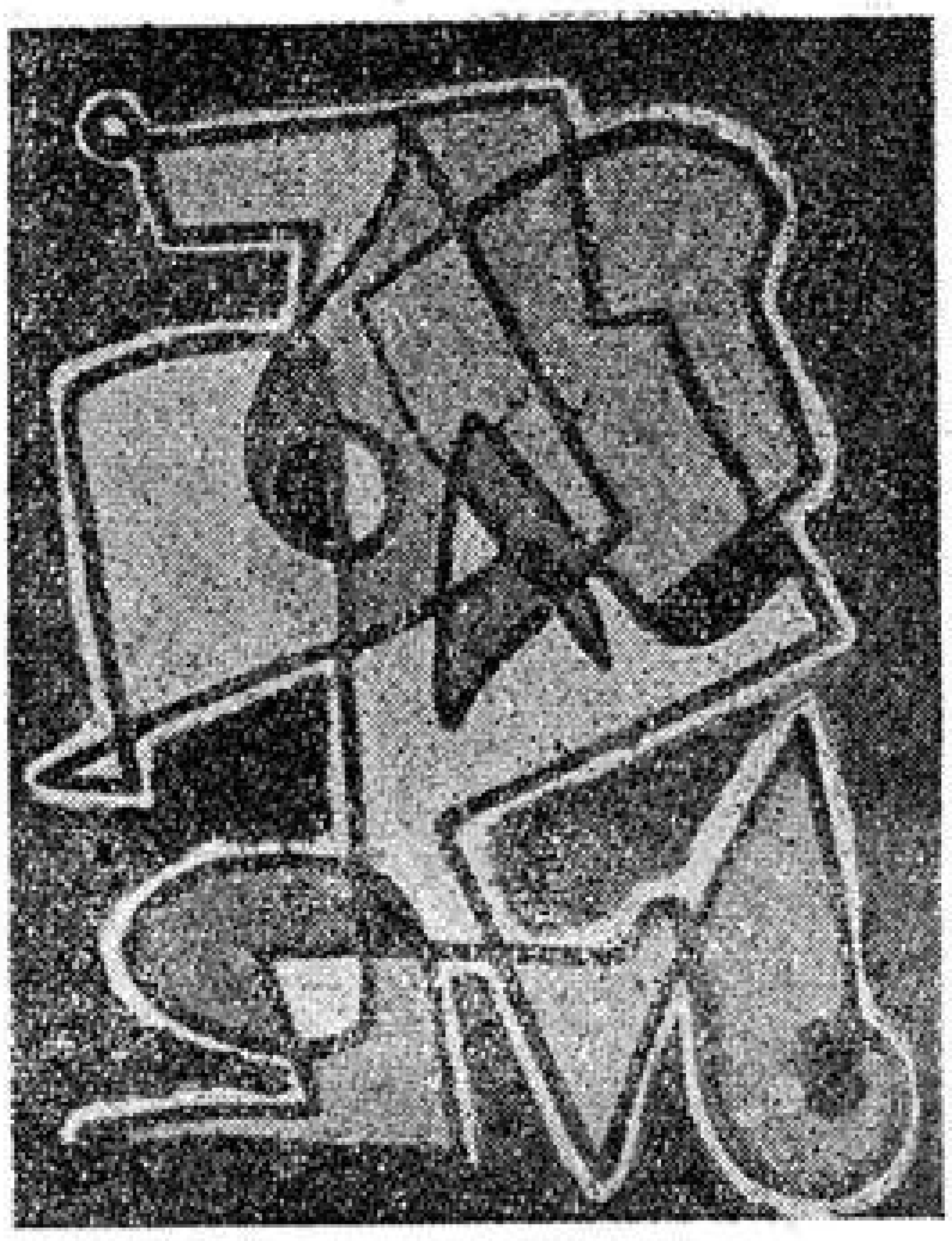
— هذا ما اعتقد . فالحركات التي يقوم بها الشباب ببغداد عظيمة الاهمية في مجال الشعر والتصوير والنحت والعمارة . ان لدينا الان عمارات على طابعها الغربي الحديث فهي تحتفظ بكمية كبيرة من روح محيطنا وشروط حياتنا وبجانب تأثراتنا بالصياغة الغربية الاكثر حداثة فاننا نرجع على اي حال الى الفن السومري والاشوري والعربي . ان فنانينا الشباب يتقبلون كل الدروس والعبر ولكنهم لا يتيهون في غمار تلك الدروس . انهم يحتفظون بالاخلاص نحو شخصيتهم . ومن السهولة ان يكتشف الروح العراقي في انتاجهم.

— اليست غايتهم اذن التعبير عن المبادلة الثقافية مع الغرب ؟ بل انك انت ايها الاستاذ حمودي معروف بهذه الرسالة . ان نشاطك لينطلق بعد الفن الى النقد والادب . ومجلتك (الفكر الحديث) التي اسستها سنة ١٩٤٥ كانت - على ما ارى - يستحق المكانة الهامة في الحياة الثقافية في العراق ! .

— كان الادب والتاريخ يجذباني كثيرا خلال حياتي الدراسية في العراق وبعدئذ بدا لي ان الفن هو الشيء الوحيد ذو الاهمية والعمق الفائقين . نعم كنت في تفاهم عائلي مع الفكر الفرنسي اول ما لقيتني في صلة معه وحين كنت اصدر (الفكر الحديث) كنت قبل كل شيء احاول اشباع رغبة الاطلاع التي يتصف بها العراقيون المثقفون .

— اليست اذن هذه الرغبة في الاطلاع نفسها هي الدافع نحو التقدم والنجاح في مشاريعك ؟

لقد لاحظت هذا جيداً حين نظمت المعرض الفني العام سنة ١٩٤٦ في قاعة الفن الحديث ببغداد ان العراقيين الان اكثر من السابق في فرنسا حيث يمكن لهم ان يكونوا باتصال وثيق مع كل فناني العالم ولكنهم ما يزالون اقل من العدد اللازم . وفي رأيي ان احداث الصلات الفنية والثقافية شيء ضروري . وقد

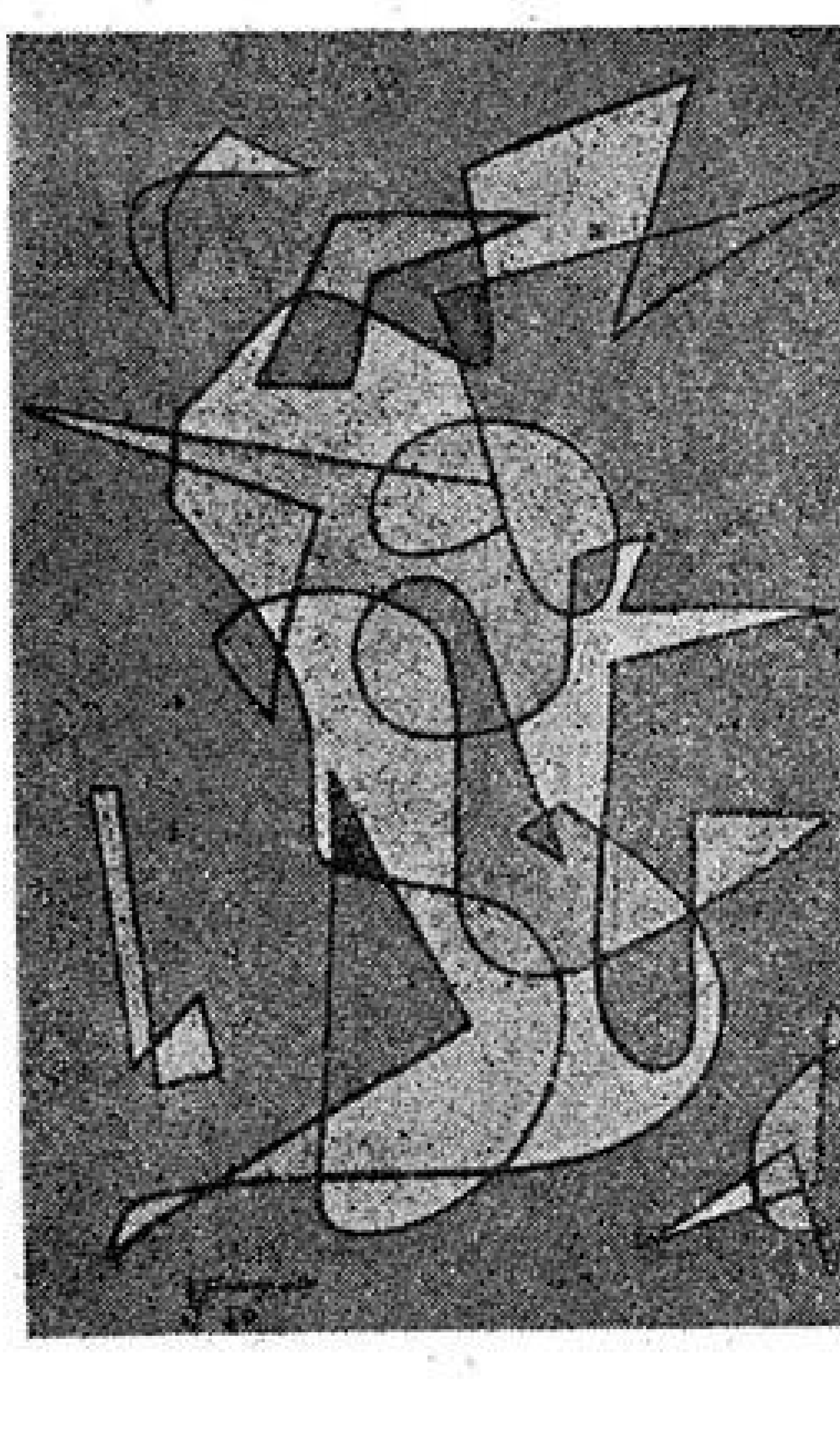


التحرر من الامل

ابلغني الكثير من اصدقائي الفرنسيين رغبتهم في انشاء جماعة للصداقة الفرنسية العراقية تساعد على خلق الصلات الفكرية بين البلدين.

— يا عزيزي الاستاذ جميل حمودي - انني اشكرك باسم اذاعة باريس لتفضلك بالحضور امام هذا المذياع للكلام عما يفيدنا ويلذ لنا جميعا . واني مليء بالتأثر بايحاءاتك ومتأكد من اننا كثيرون من نحب مساعدتك بكل قوانا وبكل قلوبنا لخدمة المشاريع الفنية والثقافية التي تقوم بها .

حركة تجريدية في الفضاء



أنباء العالم في شهر

٢٢ نوفمبر ١٩٥٠ ـ قررت اللجنة الاوربية الدائمة ان تشكل الجيش الاوربي مع ادخال الوحدات الالمانية اليه بالرغم من معارضة المندوبين الالمان .

٢٣ ـ تقدمت القوات الكورية الجنوبية على الساحل الشرقي وتتقدم قوات الامم المتحدة ببطء في الجبهة الشمالية الغربية .

ـ قدمت الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا مذكرة احتجاج الى الاتحاد السوفياتي تتهمه بخرق النظام الرباعي في النمسا .

ـ توفي في بيروت السيد عبد الحميد كرامة رئيس الوزارة اللبنانية سابقا .

٢٤ ـ اعلن الجنرال ماك ارثر ان هجوما عاما قد شنه الحلفاء في شمالي غربي كوريا .

٢٥ ـ وافق مجلس اوربا على انشاء جيش اوربي موحد تحت سلطة وزير دفاع يخضع لاشراف ديموقراطي وتألفت لجنة دستورية مهمتها وضع دستور « الولايات المتحدة الاوروبية » يطرح على برلمانات اوربا وعلى المجلس الاوروبي للتصويت .

٢٦ ـ قامت القوات الشمالية في كوريا بهجوم معاكس عنيف واستطاعت وقف الهجوم الجنوبي العام .

ـ افتتحت الجمعية التأسيسية في ليبيا وهي تضم اعضاء من طرابلس وبرقة وفزان وقررت دعوة الامير ادريس السنوسي الى تولي عرش ليبيا .

٢٧ ـ تتراجع قوات الامم المتحدة في جميع الجبهات امام ضغط الشماليين في كوريا وتعتبر الحالة حرجة جداً بالنسبة للقوات المتحدة .

٢٨ ـ حذر الجنرال ماك ارثر الامم المتحدة من ترك الصين تتدخل في الحرب الكورية معلنا ان نطاق الحرب خرج من بين يديه

٢٩ ـ تتراجع قوات الامم المتحدة في كوريا تراجعا سريعا وقد تفككت الجبهة .

٣٠ ـ اعلن الرئيس ترومان ان امريكا تدرس قضية استعمال القنبلة الذرية في كوريا .

اول ديسمبر ١٩٥٠ ـ عقد رئيس الحكومة البريطانية المستر اتلي اجتماعا مع وزيري الخارجية والدفاع في الامور التي سيتحدث بها الى الرئيس ترومان عند اجتماعه به في واشنطن . واذيع ان رئيس الوزارة الفرنسية المسيو بليفن والمسيو شومان وزير الخارجية سيحضران الى لندن لمباحثة المستر اتلي قبل سفره .

٢ ـ تتراجع قوات الامم المتحدة في كوريا امام زحف القوات الصينية تراجعا سريعا بعد ان منيت بخسائر فادحة ، وقد جلت عن بيونغ يانغ عاصمة الشمال .

٣ ـ وافقت الجمعية العمومية لهيئة الامم على مشروع قرار اتحاد الاريتريا مع الحبشة .

ـ يستمر تقهقر قوات الامم المتحدة في كوريا استمراراً يكاد يشكل كارثة .

٤ ـ وصل المستر اتلي مع الجنرال سليم وحاشية كبيرة من الخبراء الى واشنطن واجتمع بالرئيس ترومان .

٥ ـ بينما تدور اعنف المعارك التي عرفتها الحرب الكورية تستمر في البيت الابيض بواشنطن مباحثات ترومان واتلي .

٦ ـ طلب ١٣ عضوا من دول آسيا والشرق الادنى في الامم المتحدة الى الكوريين الشماليين والصينيين ان لا تتجاوز قواتهم خط العرض ٣٨ .

٧ ـ قرر مجلس الوزراء الفرنسي قبول المشروع الاميركي الخاص بانشاء القوة الاروبية واشراك المانيا بها .

٨ ـ انتهت مباحثات الرئيسين ترومن واتلي وصدر بلاغ مشترك يعلن ان الرئيسين ليسا على استعداد للتهدئة او مكافئة العدوان كما انهما لم يتفقا على قبول الصين في الامم المتحدة ، وهما يشددان على وجوب تسليح اوروبا

٩ ـ تتراجع قوات الامم المتحدة منذ اسبوعين في شمالي غربي كوريا الى الجنوب باتجاه خط العرض ال ٣٨ بينما يتدفق جيش جرار من حدود منشوريا على الجبهة .

١١ ـ تواصل الهند وساطتها في الحرب الكورية وقد وضعت مشروع قرار لوقف القتال

١٢ ـ صرح المستر اتلي بعد عودته الى لندن قائلا : لا خلاف بيني وبين ترومان على استعمال القنبلة الذرية .

١٣ ـ بدأ جلاء نحو ١٠٠ الف جندي من قوات الامم المتحدة ينزلون الى البحر من مرفأ همهونغ في كوريا الشمالية . ولم تحدث معارك عامة في الجبهة منذ عدة ايام .

١٤ ـ انذر المستر اتلي اعضاء مجلس العموم البريطاني بانه اذا لم تحصل تسوية مع الصين فان العالم يكون سائراً نحو حرب عالمية .

١٥ ـ صرح الرئيس ترومان : لن نخرج من كوريا الا اذا طردنا منها فليس في نيتنا الرحيل .

١٦ ـ اعلن الرئيس ترومن حالة الطوارىء في الولايات المتحدة .

١٨ ـ اعلن فرانك بايس ناظر الجيش الاميركي في مؤتمر وزراء الحلف الاطلسي انه يتوجب على دول الحلف ان تعزز برامجها الدفاعية باسرع وقت ممكن .

١٩ ـ عين الجنرال ايزنهاور للقيادة العليا الموحدة لدول الحلف الاطلسي .

٢١ ـ يرفض الرأي العام الالماني الانضمام عسكريا لجهاز الدفاع الاطلسي ما لم تتساو المانيا بالدول الاخرى .

ـ توفيت في بغداد الملكة عالية والدة جلالة فيصل الثاني ملك العراق .

٢٢ ـ رفضت الصين الطلب الذي تقدمت به اللجنة الثلاثية الدولية لوقف اطلاق النار بكوريا لان هذا الطلب غير شرعي فالصين الشعبية ليست عضوا بمنظمة الامم .

٢٣ ـ قتل الجنرال ووكر القائد الاعلى للقوات المتحدة في القطاع الشمالي الغربي من كوريا بحادث سيارة .

٢٥ ـ انتهت عملية الجلاء عن هامهونغ وقد جلا ١٠٥ الف جندي ومائة الف لاجىء وعتاد ضخم واصبحت جميع القوات الحليفة في جنوبي كوريا .

٢٦ ـ بدأ الجلاء عن ساوول عاصمة كوريا الجنوبية ويتجه اللاجئون الى الجنوب وبقيت فيها الحكومة .

٢٨ ـ اذاع الجنرال ماك ارثر بان الحرب الكورية توشك ان تدخل مرحلتها الجديدة الخطيرة التي يتوقف على نتيجتها مصير جميع القوات الدولية .

٢٩ ـ يستمر احتشاد القوات الشمالية في كوريا على خط العرض ٣٨ .

دار الطباعة والنشر اللبنانية ـ بيروت